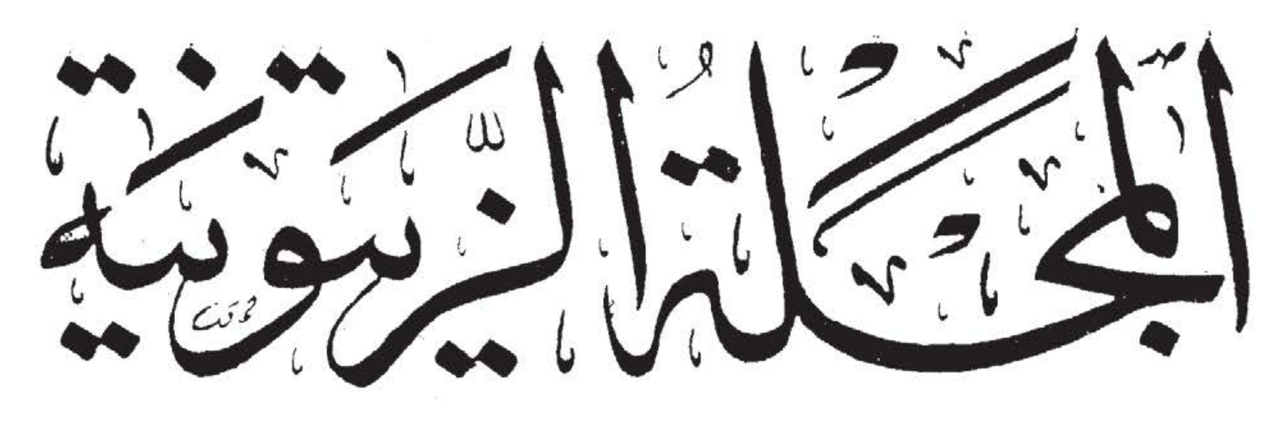


المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء السابع	تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٦ وفي مارس عام ١٩٣٧	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

الجزء السابع

فهرس العدد

المجلد الاول

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠

« بلاد شمال افريقيا « ٣٠

« في الخارج « ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه



مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء السابع	تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٦ وفي مارس عام ١٩٣٧	المجلد الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

أقبل عام وأدبر عام

بقلم رئيس التحرير

سيكون هذا العدد من المجلة بين يدي قرائه وهم مستبشرون بدخول العام السادس والخمسين من القرن الرابع عشر من الهجرة · يتبادلون التهاني بطلوع هلاله . ويعلقون عليه آمالا فسيحه واماني متعددة . وما الحياة الا اماني واحلام . لولاهما لضاقت سبل الحياة . ولوقف الانسان حيث هو لايزيد ولا ينقص . ولتعطلت حركة النمو والعمران . فالمريض يحس بالراحة اذا كان له أمل في الشفاء . والفقير المعدم يشعر بالسعادة اذا كان يترقب الغناء . والمكروب العاني يستفزه الطرب ما دام يترقب زوال ما احاط به من البلاء . وهذا هو السر الذي يكشف لك عن التناقض الذي يظهر على كثير من الناس . عند ما تقارن بين ما يبدو عليهم من السرور والابتهاج . وبين ما هم عليه في نفس الامر والواقع من التعاسة والشقاء . فالامل حينئذ هو مفتاح السعادة . وقائد الناس الى كل خير وفلاح وهو الذي يبعث الهمم من مرقدها . ويزرع في النفوس روح الحياة والنشاط . وينسيها بعض ما تعانيه من الآلام .

والامل شعبة من شعب الايمان بالله . لان صدق الايمان يجعل صاحبه حسن الظن في الله . وحسن الظن هو الامل الذي يقاوم به المؤمن كل ما يصادمه في حياته من الاخطار وكل ما يلاقيه من المصائب ومن اجل ذلك نهانا الله تعالى عن اليأس وأمرنا بحسن الظن . فقال الله تعالى حكاية لما قاله يعقوب عليه الصلاة والسلام لابنائه عند ما ارادوا اقناعه بانه لم يبق له امل في مشاهدة ابنيه يوسف واخيه (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (١) . فقد جعل اليأس من رحمة الله مقصورا على الكافرين . وقال الله تعلى في الحديث القدسي . انا عند ظن عندي بي فليظن بي ما شاء) وفي الرواية الاخرى (فليظن بي خيراً) فالمؤمن الصادق هو الذي لا تزيده الحوادث الا ثباتا . ولا تكسبه الخطوب والمصائب الا اقداماً لان باب الامل مفتوح في وجهه . وفضل الله اوسع من أمله وللہ در اسماعيل الطغرائی (المتوفی عام ٥١٣) في قوله

اعلل النفس بالآمال ارقبها ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

وتعليل النفس بالآمال هو الذي عبر عنه بعض الحذاق من الشعراء الاقدمين بالكذب على النفس في قوله :

واكذب النفس إذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالامل

ولا يخفى على اللبيب انه ليس المراد من مدح الامل والتمسك به والاعتماد عليه . أن يخلد الانسان الى البطالة والكسل وترك الاخذ بالاسباب الموصلة الى الرقي ثم يعتمد على الاماني والاحلام والخيال الذي لا حد له فمثل هذا أمل زائل . وحلم باطل لا يصح للعاقل أن يعتمد عليه وانما الامل الذي نريده مما تقدم هو الامل الذي تهيأ له الاسباب . ويبذل صاحبه ما في طوقه من الاعمال للوصول اليه . ولولا هذا الاحتراز لكان لكل متكاسل بطال عذر يقدمه لمن يحثه على النشاط والعمل بان له ما يغنيه عنهما وهو اتساع الامل . وحيث كنا الآن في موقف توديع لعام راحل واستقبال لعام قادم فمن الواجب على كل واحد منا ان يحاسب نفسه حسابا مدققا عما فعله في صالح نفسه وعما فعله في صالح امته وبلاده . وان نستعرض بصفة عامة مجملة حالتنا في العام المنصرم . وان نعرض ما لنا من الآمال في العام الجديد . فليس من التعقل وحسن التدبير ان يعيش الانسان في هذه الحياة

---

(١) قوله فتحسسوا من يوسف واخيه أي ابحثوا عنهما وتطلبوا خبرهما . وقوله ولاتيأسوا من روح الله أي من فرجه وتنفيسه . وهذا على قراءته بفتح الراء . وهي قراءة الجمهور . واما على قراءته بضم الراء وهي قراءة الحسن وقتادة فالمعنى لا تياسوا من رحمة الله التي يحيا بها العباد . اشار الى ذلك في الكشاف صفحة ٣٩٩ جزء ١

كالحيوانات السائمة فالرجل العاقل هو الذي يكون شاعرا بالواجبات المفروض عليه ان يقوم بها وان لا يهنأ له عيش ولا يطيب له مقام الا اذا قام باداء تلك الواجبات وسعى في تحقيقها لا سيما في بلاد مثل بلادنا التونسية التي هي من أحوج البلدان الى اعتناء ابنائها بها وتوجيهم جميعا الى العمل في صالحها وبذل الجهد في النهوض بها وايصالها الى اقصى درجات الرقي والكمال ونحن اذا نظرنا الى العام الراحل نجده – والحمد لله – من أبرك الاعوام واسعدها على الحركة الفكرية والنهوض العلمي ، فقد كان لحرية القول والاجتماع اللذين منحتهما الحكومة لهذه البلاد اثر ظاهر في نهضتها . فالحركة الفكرية قد نشطت من عقالها ، وظهرت آثار القرائح التي كانت خامدة . واستعد الناس للتعبير عن مقاصدهم واغراضهم في أمان واطمئنان ، ودليل ذلك هو الحركة الصحفية الكبرى التي وقعت في خلاله ، فقد رجعت الصحف المعطلة للظهور وانشئت نحو عشرين جريدة وخمس مجلات باللغة العربية والفرنسية منها هاته المجلة التي نرجو من الله ان يوفقنا للسير بها الى ارقى ما تصل اليه المجلات العلمية . وليس هناك شيء يعين على النهوض ويعد الافكار والنفوس للعمل مثل صفاء الجو الذي يحس فيه الانسان براحة عند ما يعبر عن خوالج نفسه من غير خوف ولا وجل . وحرية القول لا تعود على الحكومات والافراد الا بكل خير. لان بها تكون الحكومة مطلعة على حقيقة افكار رعاياها من غير احتياج الى الافتراضات والظنون فتلك الحرية يعبر الشعب عن آماله وامانيه . والحكومة بعدلها وانصافها تنظر في تلك الآمال وتحقق منها ما كان سهل الانجاز . وتهيء الاسباب لتحقيق ما كان منها محتاجا الى التأمل وامعان النظر . وهكذا يعيش الناس كلهم في راحة وصفاء وتوادد . واني لا افهم من حرية القول الا هذا ، اما تمزيق جلباب الحياء والخروج عن الآداب العامة والتراشق بسهام السباب والشتم وهتك الحرمات والكشف عن العورات والتعرض للشخصيات والتحدث بما يقع وراء الابواب والجدران . فهذا هو الحماقة بعينها ولان يكون الناس محرومين من القول بتاتا خير عندي من ان تكون لهم حرية يصلون بها الى هاته الدرجة . اذا فالواجب علينا معشر التونسيين أن نعتبر بهذه النعمة الكبرى . وأن نعدها فرصة سانحة لما نريد ان نقوم به من الاعمال الصالحة . وان لا نتركها تمر من غير ان نستغلها وننتفع بها . كفرص اخرى سنحت في بعض الاوقات فعبثت بها الاغراض والشهوات ، وهيهات ما فات . ويعجبني في هذا المعنى قول تقي الدين بن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧) في ارجوزته التي استخلصها من كتاب الصادح والباغم

وانتهز الفرصة ان الفرصه تعود ان لم تغتنمها غصه

وعليه فاننا نتوجه بهذا النداء لابناء بلادنا الاعزاء وهو ان الواجب عليهم ان يكونوا يدا واحدة وعلى قلب رجل واحد وان تكون للجميع غاية واحدة ومقصد متحد يكون السعي اليه والعمل على تحصيله . واذا كان هناك خلاف في الطرق والوسائل فينبغي ان لا يتجاوزها الى المقاصد الاصلية والمعاني الجوهرية ، فان اعظم داء أهلك الامم وافناها وأضاع مصالحها وشتت شملها وصيرها العوبة وسخرية امام غيرها من الامم هو داء التفرق والاختلاف الذي يصاب به قادتها وزعماؤها واصحاب الرأي فيها . واذا كان النجاح مشكوكا فيه مع الاتحاد . فهو مع التخالف وتفرق الكلمة مستحيل . وكفانا عبرة ما وقع لنا فيما مضى وما وقع لغيرنا من الامم . وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . فهذا عام جديد نستقبله . فلنستقبله بوجوه باسمة ، وقلوب متموادة . ونفوس متراحمة . وليكن هدف الجميع هو النهوض ببلادنا . ورفعة شأنها واعلاء مكانها .

واعظم الناس في نظري هو أقدرهم على تسوية المشاكل وقطع اسباب الخلاف واقتلاع جذور الاحقاد والضغائن الكامنة في النفوس . فاقصى ما نرجوه هو ان لا يكون هناك خلاف لا في المقاصد ولا في الوسائل . فان كان ولابد فليقصر الخلاف على الطرق والوسائل من غير ان يكون ذلك مفضيا الى ان يعمل الرجل ضد اخيه . واذا كان هناك خلاف حقيقي فليسع العقلاء لازالته بالمفاهمات الخاصة وبسط النظريات من غير احتياج الى التشهير . فان ذلك ادعى للوفاق واقرب للنجاح فاذا كنا كذلك امكن لنا ان ننتظر بحول الله من العام الجديد خيرا كثيرا ونجاحا كبيرا ولنا أمل وطيد في تحقق ذلك . فاهل هذه البلاد يغلب عليهم التعقل والمسالمة والاستعداد للرجوع الى الصواب والاخذ بالتي هي أحسن واذا كانت النفوس متهيئة والقلوب متصافية وسعى العقلاء في التوفيق نجحت الاعمال وبلغنا الى اقصى ما نرجوه من مراتب الكمال . هذا وبقدر ما كان للعام الراحل من الفوائد والمحاسن بالنسبة للحالة الفكرية والعلمية فانه كان على عكس ذلك بالنسبة للحالة الاقتصادية . فقدكان العام الماضي والعياذ بالله من اشد الاعوام على سكان المملكة التونسية . فقد أمحل فيه الزرع والضرع . وابتلانا الله تعالى بنقص في الاموال والثمرات فضاقت النفوس ذرعا وأشرف الناس على الهلاك من الجوع والعراء . ولولا ان الشعب قد تيقض لذلك فأسس الجمعيات لاعانة الفقراء والمحتاجين واعانته الحكومة على هذا العمل إعانة فعلية تذكر فتشكر ، لافضى الحال بالتونسيين الى ما لا تحمد عقباه . ولكن الله بفضله ورحمته سخر الناس لمد يد المساعدة فبذل كل انسان ما يقدر عليه وتكون من مجموع ذلك ما يؤمل معه ان لا يفضي الحال لاكثر مما أفضى . ورجاؤنا في الله تبارك وتعلى ان ينظر الينا بعين الرحمة والرضا وان يتجاوز عن اعمالنا,وان لا يؤاخذنا بما



المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

كأني بكم وقد مر على اسماعكم ووعت ألبابكم ما قررته من استمداد علم التفسير ومن صحة تفسير القرآن بغير المأثور ومن الانحاء على من يفسر القرآن بما يدعيه باطنا ينافي مقصود القرآن ومن التفرقة بين ذلك وبين الاشارات تطلعون بعد الى الافصاح عن غاية المفسر من التفسير وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتى يستبين لكم اكمل الاستبانة غاية المفسرين من التفسير مع اختلاف طرائقهم وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمي اليها المفسر فتزنوا بذلك مقدار ما اوفى به من المقصد ومقدار ما تجاوزه ثم ينعطف القول الى التفرقة بين من يفسر القرآن بما يخرج عن الاغراض المرادة منه وبين من يفصل معانيه تفصيلا ثم ينعطف القول الى نموذج مما استخرجه العلماء من مستنبطات القرآن في كثير من العلوم

ليس بنا ان نستدل على ان القرآن انزله الله تعالى كتابا لصلاح امر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله تعالى منهم قال تعالى : وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى

يفعله السفهاء منا وان يجعل هذا العام الجديد عام خصب ورخاء وراحة وهناء وان يغدق علينا من الخيرات والبركات ما نكون به عبيد امتنان لا عبيد ابتلاء وان يجعله عاما مباركا سعيدا على عموم الناس في جميع الاقطار والامصار ولا سيما على الشعوب الاسلامية التي تلاقي من الفاقة والذل والهوان الوانا واشكالا وان يديم لنا صاحب الجلالة ملكنا المعظم وان يجعل هذا العام مباركا عليه وعلى كل من لاذ بجنابه وانتسب اليه وان يحقق لهذا القطر ما يصبو اليه من سعادة وان يختم لنا جميعا بالحسنى وزيادة . انه الرؤوف الرحيم . الجواد الكريم

محمد المختار بن محمود

للمسلمين(١) فكان المقصد الاعلى منه صلاح الاحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها ورأس الامر فيه صلاح الاعتقاد لان الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير ثم صلاح السريرة الخاصة وهي العبادات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. واما الصلاح الاجتماعي فيحصل اولا من الصلاح الفردي اذ الافراد اجزاء المجتمع ولا يصلح الكل الا بصلاح اجزائه ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية وهذا هو علم المعاملات ويعبر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية. واما الصلاح العمراني فهو اوسع من ذلك اذ هو حفظ نظام العالم الاسلامي وضبط تصرف الجماعات والاقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ورعي المصالح الكلية الاسلامية وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع. فمراد الله تعالى من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع الى حفظ مقاصده وقد اودع مراده في الفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابا واضحا بينا وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال: كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر اولوا الالباب » سواء قلنا انه يمكن الاطلاع على تمام مراد الله تعالى وهو قول علمائنا والمشايخي والسكاكي كلاهما من المعتزلة ام قال قائل بقول بقية المعتزلة ان الاطلاع على تمام مراد الله تعالى غير ممكن اذ القصد هو الامكان الوقوعي لا العقلي فلا مانع من التكليف باستقصاء البحث عنه بحسب الطاقة ومبلغ العلم مع تعذر الاطلاع على تمامه

وقد اختار الله تعالى ان يكون اللسان العربي مظهرا لوحيه ومستودعا لمراده وان يكون العرب هم المتلقين اولا لشرعه وابلاغ مراده لحكم علمها منها كون لسانهم افصح الالسن واسهلها انتشارا واكثرها تحملا للمعاني مع ايجاز لفظه. ولتكون الامة المتلقية للتشريع والناشرة له امة قد سلمت من إفن الرأي عند المجادلة ولم تقعد بها عن النهوض اغلال التكالب على الرفاهية ولا عن تلقي الكمال الحقيقي او يسبب لها خلطة بما يجر الى اضمحلاله (٢) على حد قول المثل ارسل حكيما ولا توصه فيجب ان تعلموا قطعا ان ليس المراد من خطاب العرب بالقرآن ان يكون التشريع قاصرا عليهم او مراعيا لخاصة

---

(١) المراد من كل شيء باتفاق المفسرين انما هو كليات الاشياء واصولها فيما يرجع الى ما جاء القرآن لاجله غير ان ظاهر كلام الشاطبي وغيره ان ذلك فيما يرجع للاحكام وانا لا اري تخصيص ذلك بذلك بل ارى انه ما فرط شيئا مما جاء القرءان لاجله والبقية مشار اليها بطرق الاستدلال من دلالة اشارة وفحوى ودليل خطاب وقياس وغير ذلك وليس خاصا بالاحكام. اما الهدى فهو الارشاد الى ما فيه صلاح الناس. والرحمة لهم بما يعود عليهم من اقامة مصالحهم وهناء عيشتهم والبشرى لهم بالفوز عاجلا وآجلا مثل قوله في العاجل وعد الله الذين آمنوا الآية وهذه المعطوفات مرتبة الحصول كما ترى

(٢) يعني ان الاحوال التي رسخت في الامم المعاصرة للعرب كالفرس والروم كانت تعوقهم عن تلقي الكمال الحقيقي لعسر انخلاعهم عنها بخلاف العرب فكانوا على الفطرة وما عرض لهم من التغير انما هو شيء قليل كعبادة الاوثان وبعض العوائد الا ان سلامة ادراكهم وبقاءهم على الفطرة يغلب على قليل تلك العوائد ولو شئنا لبسطنا كيف كانت احوال الامم المعاصرة للعرب يومئذ

احوالهم بل ان عموم الشريعة ودوامها وكون القرآن معجزة دائمة مستمرة على تعاقب السنين ينافي ذلك . نعم ان من مقاصده تصفية نفوس العرب الذين اختارهم كما قلنا لتلقي شريعته وبثها ونشرها فهم المخاطبون ابتداء قبل بقية امة الدعوة فكانت احوالهم مرعية لا محالة وكان كثير من القرآن مقصودا به خطابهم خاصة واصلاح احوالهم قال تعالى ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وقال ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين الآية لكن ليس ذلك يوجه الاقتصار على احوالهم فما ابتكره الشيخ ابو اسحاق الشاطبي في الفصل الثاني من المسالة الرابعة إذ قال (انما يصح في مسلك الافهام والفهم ما يكون عاما لجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الالفاظ والمعاني فان الناس في الفهم وتأتي التكليف فيه ليسوا على وزان واحد ولا متقارب الا انهم يتقاربون في الامور الجمهوريه وما والاها الخ) هذا رأي يناكد عموم التشريع لكافة الامم اذا اخذ على ظاهره لكني ادين أن ابا اسحاق يعني انهم لا يخاطبون بما لا تطيقه افهامهم ولا سيما ما كان مقصودا منه الاحتجاج عليهم ولا يمنع ان يخاطبوا بما ياخذون منه على قدر افهامهم مع تحمله لما يتجاوز ذلك كما جاء في الحديث رب حامل فقه الى من هو افقه منه وكما قال الشاعر

ولكن تاخذ الافهام منه على قدر القرائح والعلوم

فان هو قصد خلاف ما ظنناه به فقد صار الكلام حقيقا بالتزييف

اليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن ان يعلم المقاصد الاصلية التي جاء القرآن لتبيانها فنلم بها الآن بحسب ما بلغ اليه استقراؤنا وهي ثمانية امور . اولها اصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح وهذا اعظم سبب لاصلاح الخلق لانه يزيل عن النفس عادة الاذعان لغير ما قام عليه الدليل ويطهر القلب من الاوهام الناشئة عن الاشراك والدهرية وما بينهما وقد اشار الى هذا المعنى قوله تعالى فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب » فاسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم وليس هو من فعل الآلهة ولكنه من ءاثار الاعتقادهم ولو اردنا ان نبسط القول بذكر ما يحدثه الاشراك في النفس من الانخذال والذبذبة وكذلك الالحاد بالخالق لاملينا في ذلك دروسا طويلة تخرج عن غرضنا . الثاني تهذيب الاخلاق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وفسرت عايشة رضي الله تعالى عنها لما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وفي الحديث بعثت لا تمم مكارم الاخلاق وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة وقال ابو خراش الهذلي(١) مشيرا الى ما دخل على العرب من احكام الاسلام باحسن تعبير اذ قال

فليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

---

(١) ابو خراش بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة خويلد بن مرة الهذلي شاعر مخضرم توفي في مدة عمر بن الخطاب ولم ير النبيء صلى الله عليه وسلم

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل

اراد باحاطة السلاسل بالرقاب احكام الاسلام . الثالث التشريع وهو الاحكام خاصة وعامة قال تعالى : انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » ولقد جمع القرآن جميع الاحكام جمعا كليا في الغالب وجزئيا في المهم فقوله : تبيانا لكم شيء . وقوله اليوم أكملت لكم دينكم المراد بهما إكمال الكليات التي منها الامر بالاستنباط والقياس قال تعال « فاتقوا الله ما استطعتم » قال الشاطبي لانه على اختصاره جامع والشريعة تمت بتمامه ولا يكون جامعا لتمام الدين الا والمجموع فيه امور كلية. الرابع سياسة الامة وهو باب عظيم في القرءان القصد منه صلاح الامة وحفظ نظامها كالارشاد الى تكوين الجامعة لقوله « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » وقوله إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . وقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وقوله : وأمرهم شورى بينهم (١) . الخامس القصص واخبار الامم السالفة للتأسي بصالح احوالهم « نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين . اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» وللتحذير من مساويهم «ونبين لكم كيف فعلنا بهم» وفي خلالها تعليم وقد كنا اشرنا اليها في المقدمة الثانية وسنبسطه في مقدمة ءاتية . السادس التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم الى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الاخبار وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من اهل الكتاب وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الجدل في افانين مجادلاته للضالين وفي دعوته الى النظر ثم نوه بشأن الحكمة فقال « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » وهذا اوسع باب انبجست منه عيون المعارف وانفتحت به عيون الاميين الى العلم وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم وذلك شيء لم يطرق اسماع العرب من قبل إنما قصارى علومهم امور تجريبية وكان حكماؤهم افردا اختصوا بفرط ذكاء تنظم اليه تجربة وهم العرفاء فجاء القرءان بقوله « وما يعقلها الا العالمون » هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» وقال ن والقلم: فنبه الى مزية الكتابة . السابع : المواعظ والانذار والتحذير والتبشير وهذا يجمع جميع ءايات الوعد والوعيد وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين وهذا باب الترغيب والترهيب . الثامن : الإعجاز بالقرءان ليكون ءاية دالة على صدق الرسول اذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي والقرءان جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدى لاجله بمعناه والتحدي وقع فيه « قل فأتوا بسورة مثله » ولمعرفة اسباب النزول مدخل في ظهور مقتضى الحال ووضوحه . هذا ما بلغ اليه استقرائي واحسب انه اجمع واضبط مما ذكره الغزالي في الاحياء .

(يتبع)

(١) قد خصصت لهذا النوع من مقاصد القرآن سلسلة مقالات نشرت وتنشر في مجلة هدى الاسلام التي تصدر بالقاهرة



باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

ـ ٢ ـ

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

واما ما يترتب على التوكل فالشجاعة وعزة النفس والبعد عن الطمع . والصبر على فوت المحبوب والشكر على حصول المرغوب. فاما الشجاعة فلان النفس اذا اشربت الاعتماد على الله تعالى ولم يزايلها الثقة به ومهدت الاسباب التي يحصل المطلوب عندها من غير ان تركن اليها وتعتمد عليها لا تجبن في طلباتها ولا ترتد على اعقابها في سبيل رغباتها وتستسهل الصعاب وتثبت في مواقع الاضطراب الامر الذي اتصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام واتباعهم المؤمنون المصطفون فقد كان ثباتهم فوق ثبات الرواسي ولم يبالوا بشغب المخالفين ولا بتجمعهم على الاذاية وفيما قصه الله علينا في كتابه من حال الانبياء وأممهم البلغة الشافية والعضة البالغة قال تعلى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » وقال تعلى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » واما عزة النفس والبعد عن الطمع فمن حيث ان المتوكل على الله تعلى لا يزايله اعتقاد ان ما يصيبه من الخيرات او الشرور على ايدي العباد هو من الله تعلى كما قال تعلى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » وقوله بيدك الخير من باب الاكتفاء اي والشر واختير الاكتفاء هنا تعليما للعباد طريقة الادب في مخاطبة الله تعلى ودعائه فالعباد عند المتوكل مظاهر لتلك النعم فيعتبرهم اعتبار محل تمنح فيه الجوائز والعطايا والتذلل لا يكون للمحل والطمع لا يتوجه اليه وانما يكون التذلل للمانح والطمع فيه. واما الصبر على فوت المطلوب والشكر على حصول المرغوب فلان الركون الى الاسباب هو المنسي لواجب الشكر عند حصول النعمة وهو المفضي الى الجزع والسخط ورفع العقيرة بالشكوى اذا تخلف المطلوب اما اذا وثق العبد بالله تعلى نسب فوات المطلوب الى القضاء والقدر وعلم ان

لارادلهما فهان عليه الامر وقابل القضاء بالرضى ونسب حصول المرغوب الى فعل الله تعلى وكرمه وعلم ان السبب لا تاثير له في شيء من حصول مطلوب فضلا عن استقلاله به فيجري في حلبة شكر الله تعلى قلبه وجوارحه ولسانه . وقد تجلى بما قررناه ان التوكل من اعظم خصال الايمان الموجبة لتزكية النفوس وتحليها بالكمالات والفضائل وهكذا شان الايمان وما يترتب عليه يطهر النفوس من أدران الرذائل ويصبغها بصبغ الكمالات فالحمد لله الذي هدانا له وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .
وقد ساق البخاري في بيان فضل التوكل ما رواه حبر الامة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وقد ساق البخاري هذا الحديث في احاديث الانبياء مختصرًا وفي كتاب الطب مطولا بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه احد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ما هذا امتي هذه قيل هذا موسى وقومه قيل انظر الى الافق فاذا سواد يملا الافق ثم قيل لي انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء فاذا سواد قد ملا الافق قيل هذه امتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون الفا بغير حساب ثم دخل ولم يبين لهم فافاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم او اولادنا الذين ولدوا في الاسلام فانا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبيء صلى الله عليه وسلم فخرج فقال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة ابن محصن أمنهم انا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال أمنهم انا قال سبقك بها عكاشة . واخرج هذا الحديث مسلم عن عمران بن حصين وابي هريرة وابن عباس بطرق مختلفة بالزيادة والنقص والبيان والاجمال وقد اتسع مجال القول في هذا الحديث وتشعبت الاراء فيه لاختلاف الاحاديث الواردة في الاسترقاء والاكتواء . فاما الاسترقاء اي طلب الرقية فقد جاء في النهي عنه حديث عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك لكن قال المنذري في رواته مجهول . والرقى جمع رقية وهي الكلام الذي يستشفى به والتمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على اولادهم يمنعون بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام والتولة هو تحبيب المراة الى زوجها قاله الاصمعي وقال الخليل شبيه بالسحر وجاء تفسيرها عن ابن مسعود فيما اخرجه الحاكم قال شيء يصنعه النساء ليتحببن الى ازواجهن يعني من السحر قيل هي خيط يقرأ فيه من السحر او قرطاس يكتب فيه شيء منه يتحبب به النساء الى قلوب الرجال وبتفسير كون ذلك من السحر نعلم ان كتب بعض الآيات القرآنية أو الكلام المباح للتحبيب مع عدم اعتقاد التاثير ليس من التولة المحرمة وجعل الحديث هذه الثلاثة من الشرك لاعتقادهم ان ذلك يؤثر بنفسه .

وجاء في جواز الاسترقاء احاديث كثيرة منها حديث ابي سعيد الخدري في رقيته سيد الحي بفاتحة الكتاب واخذه على ذلك اجرا وهو مشهور اتفق عليه الشيخان ومنها حديث انس قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنحلة والحمة إسم والنحلة قروح تخرج من الجنب او الجنبين ومنها حديث الشفا بنت عبد الله قالت دخل علي النبيء صلى الله عليه وسلم وانا عند حفصة فقال الا تعلمين هذه رقية النحلة كما علمتها الكتابة وفي قوله كما علمتها الكتابة دليل على جواز تعليم النساء الكتابة وان ام المؤمنين حفصة كانت تحسنها ومنها حديث عوف بن مالك قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال أعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومنها حديث جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء ءال عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وانك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما ارى بأسا من استطاع منكم ان ينفع اخاه فليفعل . ومنها حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسحه بيد نفسه لانها اعظم بركة من يدي رواه الشيخان

ومن تأمل في احاديث النهي والجواز تبين له ان لا تعارض بينها وان النهي مقصور على ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه ولا يتناول ما كان بالقرآن واسماء الله والكلام الحسن ولهذا قال الشيخ ابن ابي زيد في الرسالة ولا باس بالرقى بكتاب الله وبالكلام الطيب وقال ابن التين الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني اذا كان على لسان الاحرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله فلما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بمردتهم. وقال القرطبي الرقى ثلاثة اقسام احدهما ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله او اسمائه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى والتبرك باسمائه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله انتهى وهو تحقيق بالغ (يتبع)

اصلاح خطأ في آيتين

بصفحة ١٨٦ سطر ١٣ من العدد الرابع وردت الآية هكذا (اولئك هم الفائزون) وصوابها (واولئك) بزيادة الواو

وبالصفحة المذكورة سطر ١٨ وردت الآية هكذا (ولا يجدون في نفوسهم حاجة) وصوابها (في صدورهم)

الفتاوى والأحكام

فتوى قيمة في الحلف باللازمة والحرام مع الجمع بينهما

كما هي العادة المتفشية بين اهل تونس

بقلم شيخ الشيوخ وطود الرسوخ شيخ
الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف ابقاه الله

السؤال : اذا قال الشخص المتزوج باللازمة والحرام لا أفعل كذا مثلا ثم فعله فهل يلزمه الطلاق اولا وعلى تقدير لزوم الطلاق فهل هو بائن او رجعي وهل الواقع طلقة واحدة او ثنتان أفيدونا بما يثلج له الصدر .

الجواب : الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم وبعد فالجواب على الطرفين الاول والثاني ان لفظ اللازمة كلفظ الحرام كلاهما من الفاظ الطلاق البائن الصريح عرفا وقد تمالات كلمة القوم على ان قول القائل انت علي حرام او محرمة أو انت معي في الحرام وما اشبه ذلك من البائن الصريح بمقتضى العرف الشائع في الاستعمال ووجهه المحقق ابن عابدين بان لفظ الحرام معناه عدم حل الوطء ودواعيه وذلك يكره بالايلاء وهو غير متعارف بينهم ويكون بالطلاق لكن الرجعي غير محرم للوطء فتعين البائن بعرف الاستعمال والصريح ما استعمل غالبا في الطلاق وهذا كذلك فلا يحتاج الى نيه الطلاق وتصح فيه كامثاله نية الثلاث فيدين الحالف به بالنسبة لنية الثلاث اي يحلفه المفتي بانه لم ينو الثلاث ثم يفتيه بما يقتضيه كلامه واحدة او اكثر وقد شاع استعماله في ديارنا التونسية بهذا المعنى تارة على سبيل التعليق واخرى لا على سبيل التعليق كما شاع عندنا ايضا الحلف باللازمة على سبيل التعليق مجردة عن لفظ الحرام ومقرونة به فيقولون باللازمة او باللازمة والحرام لا أفعل أو افعل كذا يريدون الحلف بطلاق اشد من الرجعي وقد اشتهر هذا المعنى بين الحالفين به فلا يقصدون في الاستعمال سواه ولهذا لا يحلف به الا الرجال لاظهار المبالغة في الامتناع من الفعل او المبالغة في العزم عليه ويجمعون تارة بينه وبين لفظ الحرام عند ارادة مزيد المبالغة في الطلاق وليس للمتقدمين من علمائنا نص في ذلك لعدم تعارف الحلف بلفظ اللازمة عندهم ولكن مشائخ لاسلام البيرميون قدس الله ارواحهم كانوا يفتون في يمين اللازمة بالطلاق البائن كاليمين بالحرام وافتى

بمثل ذلك شيخ الاسلام سيدي احمد كريم ونقل في مجموع فتاواه المسمى بالفتاوى الاحمدية عن محرارات الشيخ سيدي محمد المناعي من اكابر الفقهاء المالكية رحمه الله ان الحكم اذا كان له مدرك من علة او عرف فانه يدور مع مدركه كاللازمة فمن كانت في عرفه يمينا فيمين والا فلا وعلى الاول فمن كان يراد بها في عرفه جميع الايمان فانها تلزمه ومن كان عرفه يراد بها الطلاق يلزمه على ما يراد في العرف من الواحدة او الثنتين او الثلاثة وان كان العرف جرى بغير ذلك فانه يلزمه ما يراد في العرف كالمشي لبيت الله الحرام وصوم شهر مثلا وهلم جرا ولذلك تجد العلماء يقول كل واحد منهم بما يوافق عرفه وليست اقوالا لهم كما يوهمه نظم العاصمية وشارحوها وان المدار على ما ذكرنا اه وذيله الشيخ كريم بان ما ذكره الشيخ المناعي اشار اليه الشيخ التاودي واوضح المقام العلامة الشيخ علي التسولي في شرحه فارجع اليه انتهى ما في الفتاوى الاحمدية ولا يخفى ان المقصود من ذلك هو الاشارة الى ان لزوم الطلاق البائن في يمين اللازمة عندنا مبني على العرف وفي (١) فتاوى الشيخ عبد الرحمان المرشدي عند الكلام على ءاداب الفتوى ما نصه ينبغي للمفتي اذا ورد عليه مستفت لا يعلم انه من اهل البلد الذي منه المفتي فلا يفتيه بما عادته يفتي به حتى يساله عن بلده وهل جرى لهم عرف في هذا اللفظ اللغوي ام لا وان كان اللفظ عرفيا فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد في عرفه ام لا وهذا امر متعين واجب لا يختلف فيه العلماء اه وفي معين الحكام من الباب الثامن والعشرين ان المعتبر فيمن حلف بالايمان اللازمة عرف الحالف لا عرف المفتي فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به طلاق الثلاث لم يجز له ان يفتي بذلك ولا يحل للمفتي ان يفتي بما يتوقف على العرف الا بعد معرفة العرف وهذا من الامر المهم معرفته اه واستتباعا لما حرره ابن عابدين في بيان وجه العرف الواقع في لفظ الحرام الذي نقلناه آنفا نقول لما كان المقصود من اللازمة بحكم العرف في هذا القطر هو الطلاق الاشد من الرجعي تعين حمله على الباقي المحرم للوطء او ان وصف الاشدية ضمنا كوصف الاشدية صريحا والطلاق الموصوف بما ينبىء عن الشدة والزيادة يوجب البينونة فلا جرم ان يكون التعليق بلفظ اللازمة تعليقا للبائن الصريح بالعرف كالتعليق بلفظ الحرام فلا يحتاج الى نية الطلاق وتصح فيه نية الغاية فيدين الحالف به بالنسبة للثلاث وخلاصة القول ان الحلف باللازمة في القطر التونسي كالحلف بالحرام والى ذلك اشرت في المنظومة الفقهية بقولي :

ولفظة الحرام او باللازمه   بائنة بالعرف فيها لازمه

---

(١) من كتب الفتاوى المعتبرة نقل عنها ابن عابدين في اوائل باب التعليق من حاشية الدر بما نصه تنبيه في فتاوى الكازروني عن فتاوى المحقق عبد الرحمن المرشدي

هـذا مـا يتعلق بالجواب عن الطرفين الاولين امـا الجواب عن الطرف الثالث فهو ان الواقع بالحنث في قول الحالف المحكي في السؤال طلقتان بائنتان لان قوله باللازمة والحرام لا أفعل كذا تعليق للازمة والحرام على الفعل المحلوف عليه بمنزلة قوله ان فعلت كذا وقعت اللازمة والحرام على وزان ما قرره ابن الهمام في الحلف بقولهم الطلاق يلزمني لا افعل كذا فهو تعليق معنوي تقدم فيه الجزاء على الشرط وكل من اللازمة والحرام طلاق بائن بالعرف فيقع كل منهما عند وجود الشرط لما تقرر في الاصول ان تقديم الاجزئة على الشرط يقتضي توقف كل منهما عليه فاذ وجد الشرط تقع دفعة واحدة وقد صرح الفقهاء بانه اذا قال للمدخول بها انت طالق واحدة وواحدة او قال انت طالق وطالق وطالق ان دخلت الدار ودخلت وقع الثلاث اتفاقا قالوا وكذا اذا تقدم الشرط . وفي الاشباه من كتاب الطلاق ما نصه كرر الشرط ثلاثا والجزاء واحد فوجد الشرط مرة طلقت واحدة ولو تعدد الجزاء تعدد الوقوع كما في الخانية . ولا يهولنك ان الطلاق الواقع بلفظ الحرام ولفظ اللازمة طلاق بائن والبائن لا يلحق البائن لان البائن الثاني هنا معلق قبل وقوع المعلق الاول وقد صرحوا بان البائن في مثله يلحق البائن لتعذر جعل الثاني اخبـارا عن الاول لان الاول لم يقع حتى يخبر عنه كالبائن المعلق قبل وجود المنجز فانه يلحق لعدم امكان جعله اخبارا لتاخر المنجز فكيف يجعل المعلق المتقدم خبرا عن المنجز المتاخر والاصل في اللحاق وعدمه انه متى امكن جعل الثاني خبرا عن الاول لا يلحق ويلحق ان تعذر جعله خبرا عنه ولذلك قلت في المنظومة الفقهية :

والاصل في مسائل اللحـاق	مع كونه في عـدة الطـلاق
تعـذر الاخبار بـالثاني لحق	اوصح فاعلم انه لا يلتحق

وان اردت زيادة البسط واقامة الوزن بالقسط فاسمع لما نمليه عليك . ذلك ان مما يكثر السؤال عنه تكرير لفظ الحرام من غير تعليق كانت حرام انت حـرام او بالتعليق نحو باللازمة او بالحرام لا يفعل كذا مع تكرير جملة التعليق بطرفيها مرتين او ثلاثا او مع تكرير المعلق فقط نحو بالحرام بالحرام او باللازمة والحرام لا يفعل كذا اما الصورة الاولى اعني التكرير بدون تعليق فلا يتكرر فيها الطلاق وان كرر لفظ الحرام الفا لما في الدر قبيل الخلع انت علي حرام الف مرة تقع واحدة ومثله في الذخيرة والبزازية قال ابن عابدين لان البائن لا يلحق البائن حيث يمكن جعله اخباراً وأما الصورة الثانية وهي تكرير التعليق بطرفيه فانه يلزم فيها تكرير الطلاق على حسب تكرر التعليق مرتين او ثلاثا لان التعليق على الاول وقع قبل حصول المعلق الاول فيتعذر فيه الاخبـار ويتعين الانشاء واللحاق وفي الدر من ذلك المحل ما نصه قال ثلاث مرات حلال الله علي حرام ان فعلت

زكاة الاموال

تحرير جامع لاحكام زكاة الاموال بقلم شيخ الاسلام المالكي ابقاه الله

اصطلح اهل تونس على ان جعلو يوم عاشوراء هو يوم اخراج زكاة اموالهم والظاهر انهم اعتبروا في ذلك ان المحرم هو مبدأ السنة العربية الاسلامية الهجرية ولعلهم كانوا في هذه الاقطار يبتدئون في المحرم عقد شركات التجارة وتنتهي عنده المحاسبات بين الشركاء وتقويم سلع التجارة ولعلهم في تعيينهم شهرا لاخراج زكاة الاموال تابعون لاصطلاح سابق في صدر الاسلام يشير اليه ما رواه الامام مالك رحمه الله في الموطا في باب الزكاة في الدين ان عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يخطب فيقول هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤد دينه حتى تحصل اموالكم فتؤدون منها الزكاة قال شراحه وذلك في شهر رجب ولم يتكلم شراح الموطا في هذا الاثر بكلام شاف

ووجد الشرط وقع الثلاث قال ابن عابدين لان البائن يلحق البائن اذا كان معلقا قبل وجود المعلق الاول . واما الصورة الثالثة وهي تكرير المعلق فقط كما هو موضوع السؤال فانها كالصورة الثانية يكرر فيها الطلاق بالحنث لتعذر الاخبار ايضا وقد اسلفنا بيان ذلك بما لا مزيد عليه نعم تصح في الصورة الثانية والثالثة نية التوكيد ويصدق ديانه اي فيما بينه وبين ربه تعالى لانه نوى ما يتحمله لفظه فيفتيه المفتي بعدم تكرر الطلاق بعد تحليفه، لاقضاء اي لا يصدقه القاضي ويقضي عليه بتكرر الطلاق لانه لا يعلم منه الا الظاهر والمتبادر من التكرر هو التاسيس اي انشاء الطلاق وفاقا لما قالوه في فروع كثيرة لكن صرح الزيلعي وغيره بان المراة كالقاضي فلا تصدق الرجل في نية التوكيد لانها لا تعلم منه الا الظاهر ايضا وبذلك يتضيق الحال على المفتي في الافتاء بتصديقه وعدم تكرر الطلاق لان المراة في الغالب لا تعلم الحكم المتعلق بها وتعتمد على ما افتى به المفتي ورايت في البحر عن الاوزجندي ان المرأة ترفع الامر الى القاضي فاذا لم تكن لها بينة تحلفه فاذا حلف فالاثم عليه اهـ وانت خبير بان المرأة اذا اكتفت منه بالحلف لدى القاضي فالمرأة والقاضي قد صدقاه قضاء وذلك مخالف لقولهم لا يصادقانه قضاء على ان تصديقه بعد اليمين وظيفة المفتي ولعل كلام الاوزجندي مبني على ان هناك رواية في تصديقه بعد اليمين ديانه وقضاء لم نقف عليها والاحوط ان يقتصر المفتي في مثل ذلك على الافتاء بما يقضي به القاضي وهو تكرر الطلاق ولا يلتفت لنية التوكيد ان ادعاها الرجل كي لاتغتر المرأة بالفتوى ولئلا ينتقص عدد الطلاق بالنسبة اليها خصوصا اذا بلغ التكرير الغاية والسلام

فمنهم من سكت ومنهم من اجمل وذلك دليل حيرتهم فيه وذكر ابو الوليد الباجي في المنتقى احتمالات في المراد منه كلها مدخولة وكلام الموطا صريح في ان هذا الكلام كان يتكرر من عثمان في هذا الشهر من كل عام لقول الراوي كان يقول . فقول عثمان فمن كان عليه دين الخ يعين ان يكون مراد عثمان بقوله « زكاتكم » زكاة النقدين وما في معناهما من التجارة والديون فيدلنا ذلك على ان المسلمين كانوا قد جعلوا شهر رجب مبدأ العام التجاري ففيه يعقدون عقود القراضات ويتحاسبون على الديون وهذا من المعروف في كل قطر ان يكون لهم شهر يعتبرونه مبدأ سنة نوع من المعاملات نظير ما عندنا بتونس في اكرية الرباع وفي اكرية الارضين فمن لم يكن ضابطا لمبدأ حول النقدين عنده (ويكثر عدم الضبط في ذلك) يصير الى الحول المعين عند اصحاب المعاملات فيزول الاشكال الذي عرض لشراح الموطا في هذا الاثر ولولا ان اهل تونس في القديم اعتبروا هذا المعنى كما اعتبره الذين خاطبهم الخليفة الثالث لما جاز لاحد تاخير زكاته الى وقت معين اذا كان قد مضى على النصاب عنده عام فان مرور الحول على نصاب زكاة المال المقتنى يختلف باختلاف احوال اجتماع نصب الاموال عند اربابها والامر سهل اذا عسر ضبط مبادي الاعوام بالنسبة لغالب الناس فنجعل يوم عاشوراء هو وقت زكاة النقدين والتجارة : فاما زكاة النقدين فهي في الذهب والفضة المسكوكين وفي قطع الذهب والفضة غير المعدة للباس المأذون فيه شرعا اذا مر عليها حول وهي في ملك صاحبها فاما الذهب فتجب فيه الزكاة اذا بلغ منه مقدار عشرين دينارا شرعيا فصاعدا مضى عليها الحول والدينار الشرعي وزنه اربعة قرامات وعشرون صانتقرام من الذهب الخالص غير المخلوط وحيث كانت السكة الذهبية في ممالك العالم المتمدن مخلوطة على نسبة تسعة اعشار ذهبا وعشر نحاسا فيكون نصاب سكة الذهب اثنين وتسعين قراما واربعين صانتقرام من سكة الذهب المعروفة اعني مقدار اربع عشرة قطعة وخمسي قطعة من قطع اللويز وذلك صرف الف وتسعمائة وخمسين فرنكا فصاعدا بحساب رواج اللويز اليوم في صرفه بسكة الفضة او بكوارط البنك واذا كان الذهب اكثر خلطا بالنحاس كذهب تونس المصوغ المعبر عنه بذوق تسعة يكون النصاب منه ضعف هذا المقدار تقريبا ويخرج المزكي على جملة ما عنده من الذهب ربع العشر اعني اثنين ونصفا في المائة . واما الفضة فنصابها مائتا درهم والدرهم وزنه ثلاثة قرامات من الفضة الخالصة وحيث كانت الفضة المسكوكة في الممالك المتمدنة مخلوطة بنسبة ٨٣ جزءا ونصف في المائة من الفضة وستة عشر جزءا ونصف في المائة من النحاس فنصاب الفضة ستمائة قرام فضة خالصة فاذا زيد عليها ما يعادل ما في الفضة من الخلط يكون نصاب الفضة ٧٠٠ قرام من سكة الفضة وذلك مقدار سبعمائة فرنك فصاعدا من سكة فرنسا

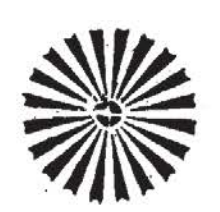
وتونس الفضية الراجحة الآن بالمملكة التونسية وعلى هذا التقدير يجري العمل في بلاد الاسلام بنسبة صرف القرام من الفضة ويخرج المزكي عن ذلك ربع العشر

واعلم ان المرجع في تقدير نصاب الزكاة للدرهم الشرعي وهو الذي يساوي ثلاثة قرامات من الفضة الخالصة وهذا الدرهم هو المسمى بدرهم الكيل وانما سمي بدرهم الكيل لان الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله جعل الدرهم الشرعي هو وحدة المكاييل قال فقهاؤنا الدرهم الشرعي هو المسمى بدرهم الكيل وهو خمسون حبة وخمسا حبة من مطلق الشعير وسمي درهم الكيل لانه بتكييل عبد الملك بن مروان اي بتحقيقه ولانه تقدر به المكاييل الشرعية من اوقية ورطل وصاع ومد اه اما درهم النقد فاصناف شتى في العصور المختلفة من عصور الاسلام كما هو الحال في المكاييل. والدرهم الشرعي هو درهم من دارهم النقد في عصر الدولة الاموية والدولة العباسية والعبرة بالدرهم الشرعي الذي بينته . واما تذاكر البانكة المعبر عنها بالكوارط فانها تعتبر مقاديرها المرسرمة عليها فالنصاب من كوارط بنك فرانسا والجزائر هو مقدار سبعمائة فرنك فأكثر ويخرج عنها ربع العشر اعني اثنين ونصفا في المائة وذلك لان الكوارط هي في الاصل بمنزلة ديون وامانات عند شركات البنوك مع امكان قبض مقدار ما يرسم بها فبذاك كان لها حكم المال الناض على قول ابن القاسم رحمه الله في مثل هذا النوع من الديون حسب تحقيق تحارير المذهب كابن عبد البر وابن رشد وخليل وابن عاشر ثم ان هذه الديون المعبر عنها بكوارط البانكة بلغت بسبب قوة الثقة بالشركات المدينة بها وضمان الحكومات فيها الى ان صار لها من الرواج بين الناس مثل ما للنقدين فكانت جديرة بان تاخذ احكام النقدين اذ الاحكام منوطة بالمعاني لا بالالفاظ

واما زكاة التجارة فالتجارة قسمان ادارة واحتكار اما الادارة فهي غالب انواع التجارة التي يقرر اصحابها ارباحا مناسبة لاقامة تجارتهم بحيث يكثر عندهم البيع وتجديد السلعة فهؤلاء يقومون سلعهم في مبدأ كل عام فاذا بلغت قيمتها حد النصاب باحد النقدين وهو في تونس الفرنك لانه الرائج في التعاقد فيخرجون زكاتها ربع العشر وكذلك ارباحهم الناضة بايديهم او المؤمنة في البنوك يزكونها أذا مضى حول على رأس المال وكذلك الديون التي لهم على الناس اذا كانت في محل ثقة وامانة مع امكان استخلاصها ويطرحون الديون التي عليهم من جملة اموالهم ويزكون ما فضل بعد طرح الديون . واما الاحتكار فهو المعبر عنه في اصطلاح التجار بالتجارة الميتة التي يطلب اصحابها ارباحا عظيمة حيث لا لا يبيعون الا قليلا فهؤلاء لا يزكون الا اذا باعوا السلعة بعد حول فاكثر من اليوم الذي زكوا فيه اثمانها فيكون عام كل واحد من هؤلاء متعددا فلكل سلعة نصاب عامها الخاص بها فيجب عليهم ضبط

ذلك بالتحرير لئلا يؤخروا زكاة كل سلعة باعوها عن وقت وجوب زكاتها . ومصارف الزكاة مجموعة في قوله تعلى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها) وهم الذين يبعثهم الامير لاستخلاص الزكاة وكتابة مقاديرها ونحو ذلك فياخذون اجورهم على خدمتهم من اموال الزكاة (والمؤلفة قلوبهم) وهم الذين دخلوا في الاسلام حديثا (وفي الرقاب) اي عتق العبيد (والغارمين) وهم الذين عليهم ديون في غير معصية او في معصية وثبتت توبتهم منها ولم تكن لهم اموال فاضلة تدفع منها ديونهم ولو كانت لهم عروض تكفي عيالهم (وفي سبيل الله وابن السبيل) وهو الغريب اذا لم يجد مالا في بلد غربته وفي طريق سفره .

واعلم انه يجوز للانسان ان يعطي زكاته الى اقاربه الذين لا تجب عليه نفقتهم ويجوز للمراة ان تعطي زكاة مالها لزوجها الفقير او المدين . ويعطى لكل واحد من مصارفها ما يكفيه لدفع السبب الذي لاجله استحق الزكاة وان زكاة النقدين توزع في البلد الذي فيه المالك والمراد بالبلاد هو الموضع الذي ينضبط بالعرف بانه بلد اذ قد تكون الارضون شاسعة لا سكان فيها وهي تابعة لمدينة او قرية كالهناشير التابعة للبلدان او تكون حولها وعن بعد منها احياء او بيوت فموضع الوجوب ما كان بلدا او قرية او قرى متجاورة او احياء هي اقرب لموضع المزكي . واما نقلة الزكاة الى موضع غير الموضع الذي وجبت فيه ففيه صور . الصورة الاولى ان يكون اهل الموضع اغنياء او يكون المحتاجون فيهم جدا قال مالك يجوز ان تنقل الزكاة الى البلد الذي فيه المساكين وينقل ما فضل عن فقراء البلد الى فقراء البلد الآخر . الصورة الثانية ان يكون في بلد الوجوب فقراء ويكون في بلد آخر مجاعة او حاجة فيجوز نقل الزكاة الى البلد الذي فيه المجاعة حتى يستغني فقراؤه ولا يعطى منها فقراء البلد الذي وجبت فيه الزكاة اذا كان فقرهم لم يبلغ مبلغ الحاجة او المجاعة . الصورة الثالثة ان يفضل من مقدار الزكاة ما هو زائد على حاجة فقراء البلد الذي وجبت فيه الزكاة فهذا ينقل الى فقراء بلد آخر ثم ان المزكي اذا دفع زكاته لفقراء بلد غير البلد الذي وجبت فيه الزكاة في الصورة التي لم يؤذن له فيها بنقل الزكاة اجزأه ذلك ولكنه فعل مكروها وهو قول ابن القاسم رحمه الله . حرره الفقير الى ربه محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي لطف الله به في ٣٠ ذي الحجة وفي ٣ مارس سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٧



الوعظ والارشاد

احببنا نشر الخطبة المنبرية التي القاها الشيخ محمد الهادي ابن القاضي يوم الجمعة ٢٣ ذي القعدة المنصرم بالجامع الكبير بمدينة باجه بمناسبة الحفل الذي قام به جماعة الشبان المسلمين في تلك المدينة نظرا لمناسبتها للوقت والحال وما اشتملت عليه من الدعوة الى مديد الاعانة لاخواننا البائسين من الجائعين والعراة

الحمد لله المتفضل بالعفو عمن اناب ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، احمده على السراء والضراء ، واشكره طلبا للمزيد من النعماء وأتوب اليه واستغفره واساله اللطف في القضاء واشهد ان لا اله الا الله الذي اختص برحمته من يرحمون. واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي عنه تعلم الرحمة الراحمون. صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه الذين اقتفوا اثره فحيوا حياة طيبة . واتبعوا سبيله فعاشوا عيشة راضية. اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم

اما بعد فيايها المسلمون ان المؤمن الصادق من بذل في سبيل الدين نفسه التي بين جنبيه . وفي اعلاء شان امته ماله الذي هو حريص عليه . وعلم ان الرحمة بالخلق عمل صالح ذو درجة ممتازة بين صالحات الاعمال. وتفهم ان القسوة على الخلق عمل منكر يتبرأ منه عقلاء الرجال. فلم يتاخر عن اداء ما توجبه الرحمة عليه للاخوان . وظهرت آثار ذلك للعيان . فان كل شيء لا تترتب عليه آثاره لا يستحق شيئا من الاعتبار .

لكن ويا للاسف هل اتصف بهاته الصفات اليوم المسلمون . ام هل تركوا التباغض والتحاسد وهم الموحدون . ام هل ربطوا قلوبهم على الاخوة الاسلامية . فتعاطفوا وتراحموا كما امرهم بذلك رب البرية .

عباد الله ان رسول الله مثل المؤمنين بالجسد الواحد اذ يقول. ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فكما ان الجسد اذا مرض منه عضو تالم له الباقي فلم يذق راحة ولا نوما . وسرت اليه فآلمته الحمى . كذلك المؤمنون حقا اذا ناب واحدا منهم نائبة شعر بألمها الباقون فسعوا بما في طوقهم لاعانته وتخفيف ألمه وهم على ذلك حريصون . وانتم ايها الاخوان . ايجدر بكم ان لا تكونوا من الذين وصفهم رسول الرحمان

ايحسن بكم ان لا تلبوا داعي الله وتطعموا الجيعان . تسابقوا عباد الله لاغاثة المحتاجين فرجوا كربهم خففوا آلامهم واسوا فقيرهم والمسكين . ارشدوا حائرهم وانصروا عادم الناصرين أعينوهم على ما استصعب عليم . ارحموهم ما استطعتم فبقدر رحمتكم بالخلق يرحمكم ارحم الراحمين. عباد الله ان هذا العام اشتدت وطأته على فقراء المسلمين . وظهرا احتياج ما يعد بالآلاف من المحاويج الجائعين. فراشهم الارض وسقفهم السماء . يسترون عوراتهم بورق الشجر وباقي الجسد في عراء . يستغيثون ولا من مغيث يتطلبون رغيفا من الخبز فلا يجدون من به يغيث بكت الصغار فسقت الارض كما سقاها السحاب . وعجز الاباء والامهات عن الصبر كما عجزوا عن الاكتساب . ايا امة الاسلام يا اهل الشهامة المحمدية ايا اهل الغيرة الانسانية . اخواننا تفتت اكبادهم الحوادث . ونحن لا نبالي بما اصابهم من الكوارث . نمرح في اثواب الزينة بين الانام . واخواننا عجزوا من ألم الجوع عن القيام . ننتقي المآكل وأطيب الغلال . واخواننا لم يجدوا ما يسدون به رمق العيال . نتدثر ونحكم غلق الابواب خوفا من الريح . وصغار اخواننا من ألم البرد على اديم الارض تصيح .

فهبوا يا عباد الله الى الصدقة ان الصدقة تطفىء غضب الرحمان فيعفو ويرحم . وتدفع البلاء عن العبد وهو لا يعلم . فارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وهو الرحمان الرحيم

اخرج البخاري ومسلم من طريق ابي هريرة رضي الله عنه عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال من لا يرحم لا يرحم . وفي صحيحه من طريق ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني (اي الاسير) وفي صحيحه عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة

جعلني الله وإياكم من الراحمين المرحومين ووفقني واياكم لنصرة المؤمنين واجارني واياكم من سخطه على الطاغين . الا ان انفع ما به توعظون . وابلغ حديث وعاه السامعون . كلام من يقول للشيء كن فيكون . « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » اهـ

تنبيه

ترد على المجلة اسئلة كثيرة قد يتأخر نشر الاجابة عنها بسبب كثرة مواد المجلة ونغفل منها ما كان غير ممضى

الدعـوة الى الاصـلاح

التجديـد

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
« الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن »

اراء المجددين في الاحكام الشرعية ومقايسة بين بعض نظريات في القانون الشرعي والقانون الوضعي

رمنا في مقالنا السابق الكشف عن شيء من النزعات التي تلابس بعض النفوس ولربما تكون عقبة في سبيل المرشد تطيل عليه مراحله التي عزم على قطعها مرحلة تلو اخرى وتظهر له كظاهرة جديدة اذا هي لم تكن في حسانه فيدعوه واجبه الاصلاحي ان يعدها بعد من مشمولات مراحله وليس هذا من صنيع الحذاق والخطر كل الخطر اذا لم يهتم بها وباهلها ويتركهم يعبثون في الارض فسادا حتى اذا تمكنت نزعاتهم من النفوس وجد المصلح نفسه امام امر مقضي ولا تنفعه التاوهات ويتجشم المخاطر اذا حاول اقناعها وتصوير المفاسد التي تترتب على ما هم سائرون نحوه . وكان الامر عليه هينا لو تبصر سوء العاقبة عند ما تعترضه تلك العقبة في بدء نشوئها سيما ودعات التجديد يلبسون على العموم وبعض الخواص ويتخذون من حججهم سلاحا يواجهون به كل من لا يقارعهم بالحجة والبرهان اذ بمجرد الدعاوي التي لم يقم عليها اصحابها البراهين والرمي بالمروق والضلال لا تجدي فتيلا فعلى هذا النحو في المجادلة نعمد الى دعوى المجددين ونسبرها ونحذر الكافة من الاصغاء اليها بعد اقامة الحجة على بطلانها . نعلم كثرة خوضهم في الاحكام الشرعية وهم في ذلك على صنفين . متطرف ومعتدل اما المتطرفون فنسمعهم بين آونة واخرى يطعنون في احكام الشريعة ويخطئون المجتهدين في استنباطاتهم محكمين عقولهم بحجة ان لنا عقولا كما لهم عقول نقدر بها ان نفهم كتاب الله وسنة رسوله كما يقدرون . فيتأولون النصوص بما تمليه عليهم شهواتهم وكل من رام محاجتهم يغالطونه بان نصوص الشريعة تؤول على حسب تطورات العصور وينبغي ان نراعي في ذلك احوال الامم في حياتها العامة ولا نتقيد بافهام المجتهدين ومداركهم العلمية التي خولت لهم ان يتمسكوا بظواهر النصوص من غير تاويل وتبعهم في اقوالهم من جاء بعدهم من الفقهاء . وهنا نسأل هذا الفريق عن مبلغه من العلم حتى يصح لنا ان ناخذ اقوالهم في التاويل وما هي قيمة ادراكاتهم التي

وصلوا اليها بعقول ليس لها من المدارك ما يؤهلها للتفقه في آي الاحكام وعلى اي قاعدة يكون الحكم بصحة ما أولوا به النصوص دون ما فهمه اولئك المجتهدون منها . واذا كان ذلك منطقهم الذي يحاجون به فلماذا يشنون الغارة على كل من ينكر على احد الفلاسفة بعض نظرياته واذا قال مثل مقالتهم (لنا عقول وللفلاسفة عقول) يرمونه بالخطل في الراي وانه لم يبلغ به علمه الى حد تخطئة من مارس علم الفلسفة حتى صار من المبرزين فيه واذا هو لم يرجع الى الجادة اعتبروا كلامه نوعا من الهذيان . وهنا ناخذك بلازم قولك يا من تغار على نظريات الفلاسفة فيما لا يترتب عليه كبير خطر بالنسبة الى الانظار الاجتهادية في تفهم نصوص الشريعة وما ينجر من اخطار في تسويغهم تفهمها لغير اصحاب المدارك التي لم يحصلوا عليها الا بعد ممارستهم لها واين مبلغك من العلم بالنسبة الى اوائك الذين علموا مقيد النصوص من مطلقها وعامها من خاصها ومنسوخها من محكمها وضبطوا صحيح السنة وتراجم رجال الحديث وخبروا طرق الاقيسة وعللها صحيحها من فاسدها من قبل . اليس من الحكمة ان لا يتكلم الانسان في علم اذا لم يكن من اهله ولا ينتقد على صانع في صناعته اذا لم يكن من اربابها والا لاصبح المهندس خبيرا في علم الطب والحداد معلما للسفار وهكذا وكان هذا مدعاة للفوضى التي لا يقرها كل من له مسكة من عقل

هذا ما نذكره في دحض مزاعم الفريق الاول من المجددين وهم المتطرفون اما الفريق الثاني وهم اهل الاعتدال كما يصفون انفسهم فهؤلاء يتحرون في طرق الطعن وينسبون التقصير الى العلماء المتاخرين في عدم مجاراتهم للظروف واعتبار الاحوال التي تعرض للبشر في هاته العصور المتأخرة فيقولون ان الفقهاء قد عكفوا على نصوص من سبقهم وهي وان صلحت لعصر من عصور الاسلام فكيف يصح لنا ان نسير على مقتضاها والناس اليوم يتعاملون مع امم لها نظم وضعية ولنا مصالح تدعون لمسيارتها . ويذكرون من انواع التشريع التي غايرت فيه نصوص شريعتنا نظرية مشرعيهم امورا نتعرض الآن الى نوع منها وهو المعاملات مع المصارف (البنوك) بفائض نسبي فنسمعهم يقولون ان فقهاءنا شددوا النكير على كل من رام هاته المعاملة حتى بقيت الامة على نحو ما نشاهد من قلة المال الذي لوراج بين الناس لاحدث نموا في الإقتصاد العام . ويعتبر الواحد منهم ان هذا التشريع لم يبق مسايرا لمدنية هذا العصر وهو من الاسباب الرئيسية التي تترك الامة الاسلامية لا يتسنى لها ان تتعامل مع أية دولة من دول العالم ما دام هذا التشريع وما دام العلماء لم يفسحوا لانسفهم المجال ويتفقهوا في فهم الكتاب المجيد ويستنبطوا مباشرة ما يلائم مصالح المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم من امم الارض ويتأولوا ظواهر النصوص على نحو ما تقتضيه روح العصر . ونحن نبحث مع هذا الفريق في دعواه

هاته مبينين له ان الاحكام الشرعية منها ما هو ثابت بالنص الصريح الذي لا مجال للمجتهد في استنباط غير الحكم الذي دل عليه هذا النص ولذلك تجد الفقهاء لا تختلف اقوالهم في الحكم الذي من هذا القبيل ومن ذلك ما ذكر من المعاملات مع المصارف التي هي من المعاملات الربوية التي نص الشارع على حكمها ولا تجد بين المجتهدين خلافا في القول بالتحريم المستند على نص صريح يعتبر الاقدام على تاويله تهجما على نصوص الشريعة وتبديلا بالتشهي وفي ذلك من الزيغ ما لا يخفى

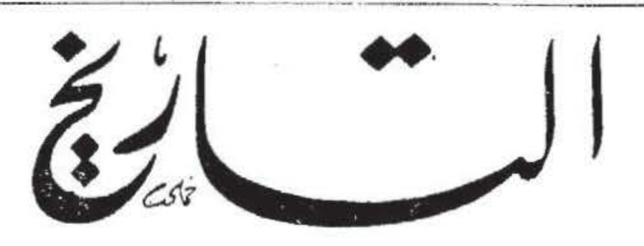
انظر ايها المجدد الى صريح حكم الربا في قوله تعالى : (الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يأيها الذين آمنوا أتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . ترى ان هاته الآيات صريحة في حكم المعاملات الربوية الذي هو الحرمة وهي من آخر ما نزل من القرآن فلم يكن هذا الحكم خاصا بوقت دون وقت وقد افصحت السنة عن بيان المرد من الربا المحرم في الآية قال عليه الصلاة والسلم (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد . فمن زاد او استزاد فقد اربى . الآخذ والمعطى فيه سواء . فقوله مثلا بمثل يدا بيد بيان للصور المباحة وعلم منه ان الاقتراض بالزيادة كيفما كانت نسبتها من المال المقترض لا تحل ولا يطيب اخذها كما لا يطيب اعطاؤها ولا أبين في هذا المقام من قوله عليه السلام : فمن زاد او استزاد فقد اربى . من غير فرق بين الزيادة مع نقد الثمن والزيادة مع النساء وتأخير الدفع . كل هذا يوضح لنا أن الآية كالحديث يفيدان حرمة المعاملات الربوية على اختلاف انواعها بدون فرق بين الزيادة الفاحشة واليسيرة وبه قال الصحابة الاعلام فكيف يسوغ بعد هذا ان يقف المجتهد متأولا ويستنبط لنا حكما يخالف الحكم الوارد بالكتاب والسنة والاجماع ونسيغ لانفسنا تخطئته لعدم تجويزه هذا التعامل ونتطلب من العلماء ان ينظروا الى نصوص الشريعة بحسب ما يوافق الاهواء واما دعوى ان هاته المعاملات صارت ضرورية لكل امة تريد ان تضرب بسهم في مدنية العصر الحاضر ولا تتمكن امة من جلب الاموال من الخارج الا اذا أباحت لنفسها المعاملات مع المصارف . فنقول في دفع هاته الشبهة ان الشرع الاسلامي لم يكن حجر عثرة في سبيل حياة الامم وتقدمها وراعى في كل اصناف التشريع ما هو

الاصلح بالبشر وان قصر ادراك حكمها على بعض الاذهان او تخيل اليها أنها شرعت لبعض الازمان وليس الامر على نحو ما يظن ونحن اذا تفهمنا واعدنا النظر في مدلولات الشريعة تجلى لنا وما على الصبح قناع ان هذا التشريع اقيم على أساس متين فنظر الى هاته المعاملة نظر الصواب ولم يراع جانب رب راس المال فقط وهم اصحاب المصارف والمساهمون فيها في موضوعنا من غير التفات الى المستقرض كما هو الحال في جانب التشريع الوضعي المشار اليه بل راعى جانب المستقرض ايضا فمنع المعاملات الربوية بجميع اصنافها

وحرصا على مصالح الناس حيث ان طبقاتهم ليست على نسبة واحدة فمنهم ذو المال العاجز عن التكسب به ومنهم القادر على التكسب الفاقد للمال شرع لهم القراض الذي روعي فيه جانب المتمولين من جهة ومصلحة العمال من جهة اخرى على ان يكون ربح الملي موقوفا على ربح من يعمل فيه وهو الآخذ للمال مضاربة من غير تغريمه بشيء من الخسارة اذا لم تكن له يد فيما تلف ولا هو يطالبه بفائض في مقابلة ماله وتكون الارباح بينهما على قدر مشاع يتفقان عليه حسما للنزاع . فانت ترى ان هذا النوع من التشريع جاء مطابقا لقواعد العمران واعتبر الاجادة في الاعمال وحصول النفع لا مظنته من غير تعلق بالاماني الكاذبة والآمال الضعيفة وبتحصيل المرافق وتيسير المنافع يستحق اصحابها ان ياخذوا في مقابلتها ما ينتفع به ويطيب لهم حينئذ اكتسابه .

فقانون الارتزاق الشرعي يفي بالغرض المقصود من استعمال الاموال المعطلة واستغلالها لكن بوجه يضمن المصالح ويعم نفعه الطبقتين المتمولة والعاملة . ولا علينا في الاموال الاجنبية التي لا يدخلها اصحابها في اقتصاد البلاد الا اذا كان الربح محققا لهم لان خطرها لا يخفى على لبيب . ونحن لا نعدم امثالها اذا أقمنا حركتنا الاقتصادية على الشركات وهنا نلاحظ للمجددين خاصة ولا متنا عامة . ان النمو المتواصل في الحركة الاقتصادية عند غيرنا من امم العالم لم يكن مقاما على مال المصارف فقط بل هو مقام على التضامن المالي الذي تتمتع به الشركات والثقة المتبادلة بين المساهمين فيها والامانة التي ارتكزت في نفوس المسيرين لدواليبها اللهم الا ما قل وهو لا ينقض به حتى انك لا تكاد تجد نوعا من انواع الاقتصاد الا وتحف به الشركات من جميع وجوهه فخير لمن يرغب في ادخال امثال ذلك النوع من التشريع في الممالك الاسلامية ويزدري بالنصوص والقائمين عليها ان يتبصر في العواقب ويبحث عن اسباب انتعاش اوجه الاقتصاد في الممالك الاروبية وغيرها في عصورها الاولى والحاضرة ليتجلى له صدق ما قلنا ويسعى بين افراد امته في بث روح التعاون والصدق والامانة التي عليها قوام الشركات .

وما احجم الناس عن تكوين الشركات الا من اجل فقدان هاته الصفات او ضعفها والمشاهدة اقوى



صفحة من تاريخ تونس

هل لتونس نواب سياسيون يمثلونها بالخارج

قبل عصر الحمايــة

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجة
المستشــار لــدى الحكومــة التونسية

اعلم ان النواب الذين يمثلون دولهم بالخارج هم القناصل في عرف اهل السياسة والقناصل جمع قنصل ومعنى هذا اللفظ نلخصه لك مما جاء بحرف القاف في كتابنا « جيش الدخيل » وفي اللسان التونسي الاصيل « واليك ذلك: لفظ قنصل استعارته اللغة الفرنسوية من امها اللاطينية ونظامه في اصله يتصل باوائل التاريخ المسيحي بل كان موجودا قبله عند الرومان وهم الذين ابتكروه ووظيفة القنصل عندهم اذ ذاك هي الحكم المطلق وتعيينه يكون بطريقة الانتخاب مع رفيق له بمثل لقبه ليباشرا الشئون العامة مـدة عام ويكون لهما من السلطة ما للملوك المتوفين ومن هذا النظــام اقتبس الفرنسويون في آواخر القرن الثـامن عشر لقب قنصل لنابليون بونـابرت قبل استبداده بالحكم فيهم امـا القنصل بالصفة السياسية المعروفة لعهدنا الحاضر فان خطته تكونت بايطاليا حوالي القرن الثـاني عشر

دليل ولسنا في مقام تعداد الشركات التي تاسست في هاتها البلاد وغيرها وما طرأ عليها بعد حتى اسقطها قبل ان تنتج .

ومراعــاة التشريع الاسلامي للطبقتين المتمولة والعاملة هو اضمن للمصــالح العامة لو تبصره المتبصرون وعلى عكس ذلك كان النظــام الذي يرغبـون فيه فهذا قد فرض على المستقرض ان يدفع جانبا من المال للمقترض منه فياخذه هــذا لا في مقابلة شيء ظلما منه وجورا وبه تستمر ارباح طبقة الماليين مضمونة وثرواتهم في نمو وعلى عكس ذلك المستقرضون الذين وان يحصل لهم ربح مرة تفنه الخسارة اخرى ولربما لا يجد الواحد منهم ما يسدد به طلبات مقرضه المالي فيعيش حياته كلها مدينا له . وما اسباب الازمة التي شملت الفلاحين والتجار وارباب الصنائع وغيرهم الا تلك الفوائض التي تزداد كل ساعة ولم يجد المستقرضون للخلاص منها سبيلا فبيعت عليهم مكاسبهم بابخس الاثمان وهم ينظرون ولا حول لهم ولا قوة .

محمد الشاذلي بن القاضي

للميلاد ونحن اليوم في القرن العشرين وايطاليا هي اول دولة اقامت قناصل لها بالبلاد الشرقية ثم انتشر استعمال هذه الخطة شيئا فشيئا بين بقية الدول فكان لفرنسا قناصل بالخارج في عهد الملك لويز التاسع يعني سان لويز الذي غزا تونس على عهد المستنصر الحفصي وهذه الغزوة هي آخرة الحروب الصليبية وهي الثالثة في العدد. والرتب القنصلية درجات في اعلاها القنصل جنرال يتلوه القنصل فالقنصل النائب فالنصف قنصل وتلتحق بها خطة مترجم القنصلية وخطة الكنشلير وللقنصل حق التمتع بما يسمونه « العصمة » في الاصطلاح السياسي (Immunité diplomatique) يعني لا يجوز بحال مسه بسوء وهو ملتبس بخطة القنصلية لان اهانته يعدونها اهانة لمجموع الامة الممثل لها بالبلاد المنتصب بها ولولا اعتداء حسين داي صاحب الجزائر على قنصل فرنسا عند حضوره لديه للتهنئة بيوم العيد وضربه اياه بمنشة الذباب التي كانت بيده لما جاءت فرنسا بخيلها ورجلها لغزو عمالة الجزائر والاستيلاء عليها باجمعها من قاف الى قاف ولكن التاريخ حفظ ايضا اعتداء كهذا في عهد مولاي الحسن سلطان المغرب اوائل هذا القرن الهجري حيث اوفد بعثة رسمية لاسبانيا فتقدم الماريشال كمبوس احد عظماء اسبانيا نحو المبعوث السلطاني في موكبه وصفعه بكف يده على وجهه ولقد اهتز العالم المتمدن يومئذ لهذا الحادث الشنيع المخل بشرف الامة الاسبانية ولكن النازلة انتهت بمجرد اعتذار من دولة اسبانيا للدولة المغربية وان شئت قلت تمت القضية بتغلب القوي على الضعيف عملا بالقاعدة البسماركية من ان (القوة تغلب الحق) والليالي حبالى يلدن كل عجيبة . واعلم ان القنصل لا تتم ولايته الا بعد اعلام الدولة المعين للنيابة لديها وموافقتها على ذلك ولا يجوز بحال ارغام الغير على قبول قنصل لديه بدون رضاه وقد اتفق ان دولة النمسا كانت بعثت لتونس قنصلا على عهد المشير احمد باي الاول قبل التفاهم معه في شانه فرفض الباي قبوله ورجع من حيث اتى. ووظيفة القنصل هي المناضلة عن مصالح امته وبني جلدته القارين بالبلاد المقيم بها ولا سيما الوقوف على حركة التجارة بها ليسهل لامته الاستفادة من ذلك بالاخذ والعطاء ومن اشهر قناصل اوروبا بتونس في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي قنصل فرنسا المستعرب ليون روش وكان يعرف باسم الحاج بين التونسيين لانه حج واعتكف وطاف بالبيت العتيق وهو رجل سياسي حنكته التجارب والاختلاط ببني الاسلام في الشرق والغرب وصفه المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف وكان من معاصريه بقوله « ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح » ومنهم ايضا معاصره المستشرق وود قنصل انكليترة ويعرف في تونس باسم هود وقد كانت له علاقة وداد مع بعض مشيخة العلم بجامع الزيتونة كما يستفاد ذلك من رسالة له حررها بالقلم العربي لا تخلو عنها مكتبات بعض بيوت العلم بتونس ومنهم القنصل ماتشو ممثل دولة إيطاليا بالحاضرة في عهد انتصاب الحماية وكان

دائما ابدا على نقيض مع زميله القنصل تيودور رسطان نائب الدولة الجمهورية الفرنساوية تعارفا اولا بالشام ثم التحقا ببعضهما في تونس واجتهدا في المنافسة السياسية وكانت الغلبة بالآخرة لممثل فرنسا وعلى يده تمت عقدة الحماية في ٢٨ جمادى الاخرة ١٢٩٨هـ (١٢ ماي ١٨٨١) وكان يوم خميس وفي غده رقته دولته لمنصب وزير مقيم بتونس, وفقا لنص معاهدة الحماية فيكون هو آخر قنصل فرنساوي بقنصلات فرنسا بتونس قبل تحويلها لسفارة واول قنصل لفرنسا بها هو القبطان لويز درياس من اعيان مرسيليا تولاها في سنة ١٥٧٧ وفيما بين ذلك اسندت الخطة القنصلية الفرنساوية بتونس لثمانين رجلا بين قنصل ونائب قنصل ونصف قنصل

وفي الوقت الحاضر يوجد بتوس خمسة وعشرون قنصلا اجنبيا معترف بهم كلهم من لندن الوزارة الخارجية بفرنسا وهم : ١ ـ فعن اروبا قنصل انكليتره وقنصل ايطاليا وقنصل المانيا وقنصل البلجيك وقنصل اسبانيا وقنصل السويد وقنصل النرويج وقنصل هولانده وقنصل اليونان وقنصل تشكوسلفاكيا وقنصل البرتغال وقنصل يغوسلافيا وقنصل فلانده وقنصل مونوكو وقنصل بولونيا وقنصل رومانيا وقنصل النمسا وقنصل سويسره وهذا مركزه بالجزائر : ٢ ـ وعن امريكا قنصل الدول المتحدة وقنصل هايتي وقنصل البرازيل وقنصل شيلي وقنصل ارجنتين وعاصمتها بونس ايرس حيث مركز السفير مسيو بيرطون المقيم العام السابق بتونس ٣ ـ وعن آسيا قنصل الجابون وهو حبينا المستعرب برات المراقب المدني كان بتونس ٤ ـ وعن افريقيا قنصل مصر ومركزه بمرسيليا واسمه حسن زكي افندي وهو الممثل لدولته بالثغر المذكور ونظره شامل في ءان واحد للمصالح المصرية بجهة مرسيليا وبالمملكة التونسية . وكل هؤلاء القناصل لا علاقة لهم بالدولة التونسية الا من طريق فخامة المقيم العام الجامع في شخصه بين خطته الفرنساوية وبين خطة الوزارة الخارجية التونسية اما المملكة التونسية فليس لها نواب يمثلونها بالذات لدى هاتيك الدول لان رعاياها ومصالحها بالخارج في كفالة الدولة الفرنساوية طبقا لنص صك الحماية على انها اي تونس لم يمكن لها نواب او قناصل باروبا قبل عهد الحماية فان صبغتها الدولية في عهد استقلالها النوعي لم تبلغ بها لدرجة الاستنابة السياسية في المجتمع الاروباوي ضرورة أنها في حال تابعيتها للباب العالي مدى القرن الحادى عشر للهجرة كانت مكتنفة بالسيادة العثمانية التي لها حق ايفاد السفراء والقناصل لتمثيل كافة الممالك العثمانية وفي ضمنها الايالة التونسية وبالتالي استمر الحال بمثله رغما عن تدرجها في مدارج الاستقلال الداخلي والخارجي كاتخاذ راية خصوصية غير الراية العثمانية في عهد حسين بن محمود باي وكسفر المشير احمد باي الاول لباريس وزيارته لحبيبه لويز فيليب ملك الفرنساويين بدون وساطة السفير العثماني

وكضرب السكة باسم الباي في عهد خلفه المشير الثاني وكعقد المعاهدات العمومية مع الدول بدون مراجعة الباب العالي الى غير ذلك من دلائل الاستقلال مما يطول ذكره والتوسع في هذا الموضوع يجرنا للكلام عما اصطلحت عليه بعض دول اروبا من نحو ثلاثة قرون من ان تونس ليس لها انفاذ رسول للخارج بلقب سفير وانما لها الحق بتوجيه رسل بعنوان مبعوثين عندما تدعوها الحاجة لذلك تنتهي ماموريتهم بانتهاء النازلة او النوازل الموفدين من اجلها حيث ان خطة المبعوث في نظر اهل السياسة غير خطة السفير لان المبعوث خطته في الغالب موقتة كما سبقت الاشارة لذلك وخطة السفير سياسية قارة وهذا الاصطلاح من قبيل الافهام الدقيقة واين هو من فهم شاعر تونس الشيخ محمود قابادو حيث يقول :

وامضى وزير البحر لله دره سفير الاسلانبول يستحكم الربطا

فلفظ سفير في هذا البيت وان كان صحيحا بالوجه اللغوي لا يؤدي في عرف اهل السياسة غير معنى مبعوث فحسب على ان كتاب العربية وشعراء الدور القديم بتونس كانوا اكثر تشبثا ببلاغة التركيب ورقة الشعر منه بكنه الشيء المتحدث عنه على عكس اهل النظم والنثر في هذا الزمان الذي كثر فيه احتكاك الافكار ونقدها وانت تعلم ان الحقيقة بنت النقد

بعد هذه المقدمة نقول ان المملكة التونسية لم يكن لها كما رايت نواب رسميون قارون بالبلاد الاروباوية ولكنها كانت كما لم تزل توجه المبعوثين بالماموريات الهامة لمختلف البلدان باروبا وغيرها من الاقطار ولقد تكلفنا لضبط عدد المبعوثين التونسيين الذين اوفدتهم تونس لفرنسا في عهد العصر الحسيني ابتداء من دولة المولى حسين بن علي تركي الى انتهاء دولة المشير محمد الصادق باي فكانوا اثنين وخمسين مبعوثا بين امراء ووزراء وكبراء في الدولة منهم المشير احمد باي الاول والمشير محمد الصادق باي (للجزائر) والامير الامين باي والامير المامون باي والامير الطيب باي (للجزائر) ومن الوزراء يوسف خوجه صاحب الطابع ومحمد خوجه ومصطفى خزندار وخير الدين ومصطفى آغه ومصطفى بن اسماعيل وحسين (للجزائر) ومن الكبراء في الدولة محمود كاهية ومحمد بن عياد وجوزايين رافو وابنه فليكس ومحمود عزيز وامير الامراء رشيد المملوك (للجزائر) وحسونه متالي وحسن المقرون وغيرهم وزيادة على ذلك فقد كان للمملكة التونسية وكلاء بالخارج ولكنهم غير معترف بهم رسميا من لدن حكومات العواصم المستقرين بها بيد انه كان لهم الاذن من سمو الباي في احاطته علما بماجريات الاحوال التي تهم بلاده فكان لتونس في عهد الدولة الصادقية وكيل بباريس وهو البارون جول دي لسابس واليه ينسب الشارع الجديد المحدث بحي البلفيدير الاعلى وهو اخو فرديناند دي لسابس

مبتكر قنال السويس بمصر. كما كان لها وكيل بقسنطينة وعنابة وهو يوسف الليقرو عامل الاعراض وامير الامراء فيما بعد ووكلاء بايطاليا في مـدن نابلي وفرينسة والقرنه وكلياري وبليرم وطرابنسية ووكيل بمالطة من ابناء هذه الجزيرة وقفت له على مكتوب من انشائه بالقلم العربي خاطب به الوزير مصطفى بن اسماعيل عبارته تضحك الثكلى ووكيل بجبل طارق وكان يهوديا ووكيل بالمونكو ولعمري ما هي المصالح التونسية التي استوجبت اذ ذاك اقامة وكيل بتلك الناحية التي هي عبارة عن دار للمقامرة فحسب ووكيل باشبونه ووكيل باصطخولم كذلك كان لتونس في العصر المذكور عدة وكلاء بالبلاد الشرقية فبالمدينة المنورة كان وكيلها الشيخ حمزة ظافر من اقارب الشيخ محمد ظافر المشهور معتقد السلطان عبد الحميد خان وبالاستانة عمر ارواي أصيل جزيرة جربة وبالقاهرة سعيد الشماخي الجربي ايضا وبالاسكندرية الحاج علي القيزاني ثم صالح بن دحمان وبطرابلس الغرب الحاج قاسم البقار وببنغاري الحاج احمد المهداوي وفي صدر الدولة العلوية سمي عبد الرحمن برهان الزمزمي وكيلا للتوانسة (لا لتونس بمكة المشرفة وماتت هذه الخطة بموت صاحبها واتفق انه نقل عنه للشريف عون الرفيق امير مكة المكرمة اتخاذه للقب قنصل تونس فلما حضر لديه في موسم الحج وتقدم لتقبيل راحته دفعه بجمع يده انكارا لما بلغه عنه . هكذا سمعت من بعض ثقاة الحجاج ممن حضر وقفة ذلك الموسم والعهدة عليه واعلم ان جميع اولئك الوكلاء من اروباويين ومسلمين انتهت ماموريتهم يوم انتصاب الحماية وكان من اشهرهم واوفرهم اخلاصا للملكة التونسية البارون جول ده لسابس وكيلها بباريس والمرحوم عمر ارواي وكيلها بالاستانة وهذا كان ابوه وكيلا لها من قبله والتحق عمر ارواي بالوزير خير الدين باشا اثناء اقامته بالاستانة وكان يعرفه من قبل ويعتمده في المهمات ناهيك انه جعله احد اوصيائه على بنيه من بعده ومات عمر ارواي عن تسعين سنه في عام ١٣٣٥ ومن احبابه بتونس المرحوم العربي بسيس وعنه اخذنا هذه الافادات في حقه مع كثير غيرها مما لا محل لذكره بهذه النبذة .

ونختم هذا الباب بحديث غريب لم يتقدم نشره باللغة العربية بتونس وصورته ملخصا عما جاء في بعض اجزاء مجلة المشيخة القرطاجنية ان الوزير مصطفى خزندار اقام في سنة ١٢٧٧ وكيلا لسمو الباي بمدينة جنوة من اعمال ايطاليا وهو الكونت فاندوني واعطاه لقب قنصل جنرال فلم تعترف به الحكومة الطليانية ولكنه لم يعبا برفضها وتمادى على احداثه المشاكل بين تونس وايطاليا وكتب في الجرائد فصولا اثارت الخواطر بلندرة والاستانة كان يمضي عليها باسمه مذيلا بلقب « قنصل جنرال صاحب الجلالة باشا باي تونس » واستدر اموالا طائلة من الوزارة التونسية في مقابلة ما يكتبه من الفصول

ولك ان تقول الفضول ثم تدرج في تهافته ومساعيه بايهام الوزير المذكور انه سيحصل له على العضوية باحد المجامع العلمية بفضل ما ينشره في حقه من الاطراء والثناء بالجرائد الاروباوية ويستزيد من استدرار الاموال مع الحصول على رتبة الكمندور في نيشان الافتخار وفيما بين ذلك يختلق النوازل ويكاتب الوزير بما لا وجود له ويستاذنه في القيام بالماموريات التي يهيىء اسبابها ويتهافت بين البلدان فبينما يكون بجنوة يكاتبه بانه على سفر لسويسرة ثم يعلمه بانه انتقل لباريس ومنها الى لندرة لمصالح دولة جلالة الباشا باي » ثم يغرب عليه بالاخبار والحوادث المختلفة يستدر منه المال وبالآخر اضطرت الحكومة الطليانية للتحجير عليه بالاقامة في بلادها فانتقل بقنصليته لمدينة لندرة وطلب من الوزير ٦٧٠٠٠ فرنكا عن مصاريف انتصابه في السنة الاولى وكان يحيل سندات مطالبه المالية على البنوك فعجزت الخزينة التونسية عن دفعها ومن ذلك مبلغ قدره ١٦٨١٣٨ فرنك دفعه له الوزير بسرايته بقرطجنه بتذاكر مالية تونسية بعنوان تصفية حساباته معه وانتهاء ماموريته فقبض المال وسخر من البقية واستمر على تقلباته واعماله باروبا ساعيا لعقد قروض باسم الدولة التونسية وتعرف ببعض قرابة الوزير بتونس وغيرهم منهم الصحافي علي فارس الشدياق وهذا الرجل الذي عرفناه بالذات في ءاخر عمره كان يمثل الفطنة الشرقية باكمل معانيها وكان ملحقا بقسم المترجمين بالوزارة الخارجية بحلق الوادي وبهذا الثغر اقام ابوه من قبله اثر اعتناقه للاسلام في سنة ١٢٦٤ وكان اسلامه على يد الشيخ الجد قدس سره والواسطة في ذلك الوزير حسين مستشار المعارف ولكن الخطة التي نيطت بعهدته كانت دون مواهبه واطماعه فكتب في ذلك قصيدته التي يقول في مطلعها :

ماذا جنيت وما جنت اجدادي — حتى غدا حبسي بحلق الوادي

ويلوح ان مقامه بحلق الوادي لم يهنأ له فيه عيش فقد قال في ذلك ايضا :

مجاورة اليهود غدت نصيبي — بحلق الوادي والسكنى اضطرار

وقالوا هل ترى فينا خيارا — فقلت خياركم فيه الخيار

وكان من حظه الارتحال عن تونس ومن حظ ابنه الترجمة بالوزارة الخارجية ثم الالتحاق بابيه بعد تأسيسه لجريدة الجوائب في عام ١٢٧٧ اما الكونت فاندوني موضوع الحديث فانه لما اعيت مذاهبه وتحقق غلق الابواب الخزندارية دونه فقد قام بقضية على الدولة التونسية طالبا من خزينتها بقية اجوره في مقابلة خدماته . . . الجليلة التي اجهدته في سبيل مصالح البلاد التونسية باروبا وكانت تلك البقية مقدرة في حسابه بثلاثة ملايين ولاذ بحكومة بلاده فتدخلت الدولة الطليانية في النازلة وركن الشقان لتشكيل لجنة من بعض حكام محكمة النقض والابرام بروما لتصفية مطالب فاندوني فحكمت هذه

الادب

نشر تحت هذا القسم نص الفرائد الثلاث التي القيت يوم الحفل العظيم الذي اقامته (الجمعية الزيتونية) في الشهر المنصرم لتسجيل تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة ونشر فضائله

بقلم امير شعراء الخضراء السيد الشاذلي خزندار

الفريدة الاولى

الا لبيك يا ثاني القرون ... حديثك والحديث لذو شجون

تمثل بيننا الماضي فكدنا ... نشاهد ما تقصه بالعيون

هنا الحبحاب عبد الله خطت ... يداه البيت تخطيط الحصون

تذكرنا المعاهد من بناها ... فتدعونا لمعرفة اليقين

هنا الزيتونة الهادي سناها ... بنور الله لا نور الغصون

فلا شرقية بلغت علاها ... ولا غربية في اي حين

لها في نسبة البيت افتخار ... تابد بالشروح وبالمتون

فبات المعهد العلمي بحرا ... يفيض عليك بالدر الثمين

اذا استمطرت راحا من ذويه ... جرت كالسيل من ماء معين

تسلسلت الفحول به هداة ... تمشت بين سهله والحزون

تصفح دفتر الملوين تصفح ... عن الكشاف للسر المصون

فلولا الدهر حركنا لاودت ... بنا الاحلام في ذاك السكون

❀ ❀ ❀

اللجنة برفض اكثر تلك المطالب وبقبول البقية منها مرتبه عن خمس سنوات واشترطوا على ان يكون الدفع نقدا ذهبا برومة . فهذه القصة الغريبة ليست هي بالاولى في بابها وضروب النصب والاحتيال كانت كثيرة في الزمن الماضي والماضي وصفه الشاعر الحكيم بقوله :

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي انت فيها

محمد بن الخوجه

الفريدة الثانية

لمدير المجلة

كفى العلم ان اعيى اللسانين حمده ونـاء بفرسان البـرية حـده
وليست يد الانسان مهما تطاولت ببـالغة من امـره مـا تـوده
فحظ الورى من صيب العلم قطرة وسلواهم من طيفه اللدن وعده
يزيد جلال العلم ما ازداد منعـة ويحلو عذاب النفس ما ازداد صده
وكل امرىء تصبو الى العز نفسـه يهون لدى غول المعارج جهده
جرى قلم الرحمان بالعلم فاستقى بمـورده الاسمـاء آدم عبـده
فشعت على الاكوان لالآء شمسـه وطوق لبـات الخلائف عقـده
واودع في روع النهى بعض سـره فهب لهـا في عـدة الفتح جنـده
فسبحان من اعطى وسبحان من هدى وسبحان من قد هل بالعلم رفده
واطلع بدر الدين من خير مطلع يضوع به بان الجنـان ورنده
حمى الكعبة الغراء والموئل الـذي يقـرب آمـال القـواصد بعـده
ديـار بني عدنان ءاباء هاشم واسرة من بذ الاكارم مجده

بـني الزيتونـة الخـضرا هلمـوا بهمتـكم لتحقيـق الظـنون
وكونوا الروضة الغناء تـزهو بـانـوار المعـارف واليقين
لئن عـدموا فما عدمت بنوهم ولا الاحرار راضـية بـدون
فمـا من حـازم الا ونـادى « متى اضع العمامـة تعرفـوني »
فبثوا في نـفـوس القوم روحـا مـؤيـدة بـاخـلاص وديـن
فمـا للجامعـات ولست اطـري سواكم في البلاد فصادقـوني
ومـدوا لـلاخـاء يـدا فـانتم احـق الناس بـالحـق المبين
تغـذيتم لبان العلم فـاشـفوا به غـلا من الـداء الدفين
وذودوا عن حماه بكل حـزم تكونوا منه في الحصن الحصين
ويحسن بعد ذلك ان يـنادي فتى الخضراء وضـاء الجبـين
« اذا مـا رايـة رفـعـت لمجـد تلقـاهـا عرابـة بـاليـمين »

محمد الشاذلي خزنة دار

جلاه لنا بدرا يؤيده الهدى … وبحرا ممدا بالمعارف مده
يفيض على الغبراء علما وحكمة … ويطمو بيانا نيط بالغيب حده
وينشر من آي الكتاب فريدها … فيعجز اقطاب البلاغة نقده
فرائد عرفان وخرد حكمة … تحلى بها قطب الزمان وفرده
وسار على مثلاه من فاز واهتدى … وولى به عن مهمه الزيغ رشده
فشيدت صروح العلم في خير موضع … يعمره حزب الآله وجنده
تيممها القصاد تحدوهم المنى … لاعلاء دين شرف الناس عهده

❀ ❀ ❀

معاهد للاسلام جازت قبابها … مدى الفلك الدوار فانجاب سعده
مبان على التقوى اقيمت بهمة … يسيل لها رضوى وينساب صلده
لتونس منها معهد غير أنه … به در من يرجو الفلاح ومهده
ترد له الابصار وهي خواشع … لفرط جلال معدم المثل ندّه
تنضد عقد المتقين دعاته … بصوت محا هزل الضلالة جده
تجمع طلاب العلا حلقاته … كاشبال خيس عرست فيه اسده
يفوح بازهار المعارف روضه … ويزكو بباقات العوارف رفده
تهادى به الاعلام من كل جهبذ … يضم التقى والعلم والفضل برده
اذا قال قولا زال للشك غيهب … وان رام حقا فالردى لا يصده
بذاك حكى التاريخ عن امسه الذي … تولى وما ولى عن القلب وده
تذكرنا الذكرى بايام عزه … فنشتاق عهدا ناء بالنفس صده
وما السن التاريخ عن امر يومه … بغافلة فليتق الله ولده
فمن نكد الايام ادمان شعبنا … على عد فضل الناس فيما يعده

❀ ❀ ❀

اقوم الهدى لا يصلح الله امرنا … وشمل بني الخضرا تناثر عقده
سلام على ايام مجد تصرمت … وفي القلب منها مرهفات تقده
سلام ورضوان على خير معقل … وقوم بحق هم ذووه وجنده

الطاهر القصار

الفريدة الثالثة

للاديب العالم الشيخ علي النيفر المدرس
من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

بماضي بني الخضراء كم مثل سارا ... وكم اثر تعنوله النفس اكبارا
تبارك من اولى بني تونس العلى ... وخولهم صيتا بذا الكون قد طارا
وشاد بهم بنيان كل فضيلة ... وابقى لهم في ساحة المجد آثارا
خوالد ما أودت بهن يد البلى ... وإن كن قد أبلين دهرا وأعصارا
مآثر قد أنسين ما أثر الاولى ... تساموا نهى من آل قيصر او دارا
تراث به نعتز أصبح بيننا ... مضاعا وما تلفي لنا فيه أعذارا
مظاهر فخر يبهر العين حسنها ... وليدة علم صرحه قط ما انهارا
اولئك قوم اثلوا مجد تونس ... ولاحوا بها قدما شموسا وأقمارا
ونالوا كما شاء المنى كل مفخر ... نأى بالذي باراهم فيه أو جارى
بكل مجال للحياة وحلبة ... ترى لجياد القوم ركضا وإحضارا
وفي كل علم نافع أو صناعة ... يطيلون إيرادا لعمرى وإصدارا
لقد خلدوا للقطر ذكرا معطرا ... به قد سما بين الممالك مقدارا
وكائن لهذا المصر من تالد العلى ... وطارفها ما فيهما بذ أمصارا
علا صيته دهرا فأخمل ذكرها ... وغادرها في مهجة الدهر اسرارا
واشرف ما جلى به المعهد الذي ... ارق بنات المجد عونا وأبكارا
هو المعهد العلمي والمعلم الذي ... يباهي هلال الافق أدرك إبدارا
تبارك منشاه لذلك ما انتمى ... لزيتونة باليمن تؤذن إشعارا
له مفخر بين المعاهد طائر ... يعم بقاع الارض سهلا وأوعارا
تسير به الركبان شرقا ومغربا ... ويجتاب آفاقا صداه واقطارا
قرارة عرفان ومنبع حكمة ... ومبزغ آيات تملان انوارا
أضاءت على الدنيا ففي كل بقعة ... ترى أثرا منها وتسمع اخبارا
أعار بها الآفاق حسنا وبهجة ... وزان بها التاريخ كتبا وأسفارا

لدى كل صقع مسحة من جمالها وعرف شذي يزدري الروض معطارا
فكم لاح من آفاقه جهبذ له أمال بغاة الرشد قصدا واسفارا
وألقوا عصا التسيار في عرصاته وكم اكرمت في الدهر وفدا وزوارا
فاحيى نفوسا منهم سيب هديه واجرى لهم من صوبه العذب تيارا
به بسقت افنان اغصان علمهم وادنت من الجاني ثمارا وازهارا
فآبوا الى اوطانهم وقد اغتدوا لذا المعهد الزاهي دعاة وانصارا
يذيعون من علياه ما لم يجنه الز زمان على طول العهود ولا وارى
ويتلون آيات الثناء على الاولى به وضعوا مما جنى الجهل آصارا
فمن عالم بالدين يسفر عن حجى اصيل بعيد الغور كالصبح اسفارا
ينير دياجير الضلال لخابط ويمحو بتيار الهداية اوضارا
وآخر قد القت لـه العربية الـ ـقياد فلم يخط السبيل ولا جارا
جرى لمداها فاستقل بخصلها وأكرم بمضمار المعارف مضمارا
وذي ادب مستملح عز ان ترى له مشبها من حاكة القول ديارا
يوشي برود القول تحسب انها حدائق قد راقت نفوسا وابصارا
مطارف من نسج اليراعة احكمت لبابا غدت من جيد الشعر مختارا
بدائع من سحر البيان روائع عقائل تأبى بالجوائز امهارا
اوانس الا انهن شوارد دوان وقد جاوزن نجدا واغوارا
وكم غرست في ارض طرس يراعه بواسق قول جادها الفكر مدرارا
وفتح من روض الفصاحة نوره وفجر ينبوع البلاغة انهارا
وابدع ما ولى المصاقع دونه حيارى وما ان ادركوا منه معشارا
وفي كل فن قادة يحذقونه تراهم به ادرى واوسع انظارا
كمثل ابن خلدون ومثل ابن عرفة ومن منهما اسمى واشرف اخطارا
وغيرهم من كل حبر معمم على كرم لا لؤم فيه ولا عارا
ولا برحت والحمد لله ثلبة تنير به سبلا وتبلغ اوطارا
كذا العيلم السامي المدارك من سبى بتبيانه الراقي عقولا وافكارا
فلولا هم لا نقض صرح فخارنا الى هوة سوداء يا قوم وانهارا

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفريطنا فيها

— ٣ —

وبعد فالشيء الذي يؤسف له ويبعث في النفوس حسرة ممضة وألما مستمرا هو حالة المكتبتين اللتين كان يجب علينا ان نوليهما من العناية اقصى ما يمكن تقديمه في سبيل ترقيتهما والنهوض بهما نحو الكمال فقبيح بنا وأيم الحق ان نضجع في الامر ونغمض جفوننا على ما تغمرنا به مطابع الشرق والغرب من قديم التآليف وجديدها و نترك مكتباتنا في تراجع مزري وانحطاط مشين

اني اعتقد ـ وحقا ما اعتقد ـ ان منشأ هذه الحال هو اسناد القيام بشؤون المكتبتين لاناس لا خبرة لهم بالنظم التي تسير عليها المكتبات الراقية وغاية ما يمكن ان يقوموا به تمكين المطالعين والمستعيرين من طلباتهم . وفرق بين من يتولى التوزيع وبين من يتولى وظيفة حافظ مكتبة ذلك ان ما يتطلبه وظيف موزع كتب غير ما تتطلبه وظيفة حافظ مكتبة وكفى دليلا على ذلك ان هذه الوظيفة في بلاد الغرب وبعض البلاد الشرقية الراقية ـ كمصر ـ لا يعهد بها إلا لرجال العلم والدراية بهذا الفن وممن لهم تخصص فيه وانتساب الى المعاهد المعدة لذلك . ومن اتيحت له زيارة المكتبات الاروبية استيقن ذلك وآمن بخطارة هذه المناصب التي تساهلنا فيها الى ابعد حدود التساهل

إن وظيفة حافظ مكتبة يتحتم اسنادها لمن له معرفة بالخطوط وتطوراتها الفنية وقيمتها الاثرية واطلاع على حركات النشر وارتباط بشركاته في اطراف المعمورة وإلمام بمحتويات المكاتب العالمية حتى تنتفع المكتبة بخبرته ويتسنى له بذلك ان يقدم لاداراته التقارير الفنية فيما تتطلبه حالة المكتبة

وفوا دينكم حفظا وصانوا لسانكم	وما هو من عاداتكم لم يكن ضارا
ثلاث عرا لا عيش يبقى لأمة	اذا فصمتها بل تحل العفا دارا
فكونوا بها مستمسكين ولا تنوا	لقد خاب مرء عزمه في العلى خارا
وكونوا حماة المعهد الفذ ترشدوا	وكونوا بمن فيه ايـ قوام ابرارا
تشيدوا بـه مجدا لاسلافكم وهي	وتحيوا بما تجنوا من الحمد اعمارا

علي النيفر

التي لنظره ووجوه الاصلاح التي يراها لازمة لنهوضهـا وترقيتها وجعلها وافية بحاجـة الثقافة العامة بتوفير مصادرها

فهل ان القائمين على المكتبتين هم على ما وصفنا ؟ كلا والف كلا اذاً كيف نؤمـل منهـم رقي المكتبة والاستربـاع بشؤونها ومتى يستقيم الظل والعود اعوج ؟

ليس من الحق ان تنقم على اولئك المتوظفين حالة المكتبة وما هي فيه من تراجع اذ ليس لهم من الامر شيء ولا وجه لتحميلهم وزر هذه النقصية وهم - والحق يقال - قائمون بوظائفهم وهي توزيع الكتب وتمكين المستعيرين من طلباتهم خير قيام ممثلين في سلوكهم كرم الخلق ولطافة المعشر . ولكن المسؤول عن ذلك هم من تداولوا الاشراف على الجامع في القديم والحديث فهؤلاء هم الذين كان عليهم ان يقوموا حالتها ويتداخلوا في اسناد وظائفهـا لاهل المعرفة المتخرجين من الجامع ممن لهم الثقافة التامة لهذا الفن والاطلاع الواسع على النظم التي يستدعيها وان يبذلوا جهودا صادقة لتوفير الاعتمادات اللازمة لتنميتها وتغيير نظامها العتيق الذي لا يتمشى مع ما تقتضيه الاصول الفنية التي تسير عليها المكتبات الراقية اليوم . ومن المهازل التي يقف امامها المرء في هذا الموضوع ان المقدر السنوي لكلا المكتبتين نحو ١٤٠٠ فرنكا فاي شيء يا ترى يمكن ان يسدد بهذا المقدار ؟ ربما يقـال انه ارصد برسم تجليد الكتب وإصلاحها ولكن هل هو كاف لما أرصد اليه ؟ لاشك انه دون الكفاية ثم اين هي الاعتمادات اللازمة لتنمية المكتبة وتوسيع دائرتها ؟الجواب .... رب يسر ؟؟!

اذكر اني اجتمعت مرة مع احد ممن لهم اتصال مباشر بتسيير ادارة الجامع - وكانت حالة المكتبة تؤلمني وتبعث في نفسي الحسرة على مصيرها الذي تسير اليه - فكنت لا آلو جهدا في تعرف احوالها ما سمحت لي بذلك الفرصة فجرى حديث بيني وبين تلك الشخصية بمناسبة صدور قانـون الاصلاح الاخير وتدرجت معها للحديث عن المكتبة وكيف لم يقع الالتفات اليها والسعي في رفع مستواها رغما عما هي عليه من ضيق الموارد ونضوبها مما اخرجته لنا مطابع الشرق والغرب وو... فاجابني بمـا معناه « ان الناس لم يطالعوا الموجود فأي حاجة للزيادة » فذكرته ان حاجـة الباحثين لا تتمشى مع هذا الجواب وان القانون الاخير قد جاء في عدة فصول منه ما يرمي لتنمية حركة التأليف وترويجها وان الشرط الاساسي لذلك هو المكتبة المنظمة الغنية بالمراجع فاجابني عن ذلك بانه لا توجد مخصصات كافية من ميزانية الجامع للمكتبة وانه على فرض وجودها فان ضيق المحل الحالي يحول دون تنميتها

لم ذا ايها القوم لم توجد المخصصات الكافية لتوسيع نطاق المكتبة ؟ هل تطمعون من الحكومة ان تمكنكم من القدر الكافي دون طلب والحاح ؟

اما الجواب بضيق المحل فقد حرت في فهمه ولم اهتد لوجه الحل فيه. واجب على كل مريد للاصلاح ان يهيب بكل زيتوني ليطالب باصلاح المكتبة اصلاحا تتبوأ به المكان اللائق بها كاول مكتبة عربيه بالشمال الافريقي اذ قبيح بنا معشر الزيتونيين ان نطرف العيون على القذى ونستنيم لمثل ذلك الركود الفاضح لاسيما وقد قامت لجانب مكتبتنا العريقة مكتبة العطارين الحديثة الناشئة التي زخرت بمحتوياتها وشمخت عليها بنوادرها القيمة وليس لذلك سبب سوى ان هذه غربية وتلك شرقية . ايها الزيتونيون افتحوا ابصاركم على ذلك الشعاع الذي يضيء بقبس من بين كتب التاريخ الحافز وارهفوا اسماعكم للصدى المرن لبيت الحكمة ببغداد ودار العلم بطرابلس الشام(١) وخزائن الحكم الثاني بقرطبة(٢) واقبلوها دعوة خالصة فاني لا اريد الا الاصلاح ما استطعت . ان المكتبة لم تبلغ الى هذه الحال من السقوط والتاخر الا من جراء السكوت الذي فرضته اعتبارات وهمية كانت تحول بين خايري العزائم وبين ان يصدعوا بكلمة الحق المرة او ينبسوا ببنت شفة في تذكير القائمين بالامر والاهابة بهم الى بعث روح التجديد ، وما تلك الاعتبارات الا التخوف من غضب بكر وسخط زيد ونقمة خالد ، ولكن فاتهم انهم بسكوتهم ذلك قد فرطوا في تراث اسلافهم واعانوا على اتلافه وضياعه فعاثت فيه الارضة واتت على ما به من آثار الفن الخالد المنكود فبقينا عالة على ما بخزائن الغرب حتى ان احدنا ليقف مدهوشا امام ما يعرض عليه من آثار اسلافه ويعجب من عناية القوم بها وتفريطنا فيها . وأرى ان تجديد المكتبة لا يتم الا على هذه الاصول :

(أ) - انتداب شخصية شرقية لها الخبرة التامة للاشراف على تجديد المكتبة ويكون ذلك بمقتضى عقد لمدة يمكن فيها تخريج من يضطلع بالمهمة من الزيتونيين خاصة ولنا في ذلك اسوة حسنة بمصر فقد انتدبت عندما رأت الضرورة قاضية بذلك شخصيات علمية كبرى من علماء الالمان والطليان. وفي زعمنا ان انتداب من يقوم بهذه المهمة اجدى من انتداب من يقوم بتدريس الموسيقى بمدرسة العطارين

(١) كانت تحتوي على ٤٠٠٠ الف مجلد بلغت فهارسها اربعة واربعين مجلدا . ص ٨٨ - من حاضر الاندلس وغابرها . (٢) ولما ولي بعده ابنه هشام المؤيد وهو غلام لم يحتلم بعد تغلب على مهام الدولة حاجبه ابن ابي عامر المشهور فعمد الى خزائن الحكم المذكورة بمحضر خواص اهل العلم بالدين وامر باخراج ما فيها من الكتب القديمة في المنطق والنجوم والفلسفة عدا كتب الطب والحساب واللغة والنحو والاشعار والاخبار والفقه والحديث فاحرق منها الكثير والقى البعض منها في ابار القصر وهيل عليها التراب وغيرت بضروب التغايير وفعل ذلك تحببا الى عوام الاندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم اذ كان كل من قرأها متهما عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الالحاد في الشريعة اه طبقات الامم لصاعد الاندلسي ص ٦٦ . (٢) كان عدد ما بها من الكتب عند ما احرقها الصليبيون سنة ٥٠٣ هجرية ثلاثة ملايين مجلد . راجع مجلة الزهراء ص ٤٤١ ج ٧ م ٣

(ب) ـ طلب ارصاد اعتماد مالي يوازي ما هو مخصص لمكتبة العطارين يجعل تحت تصرف هيئة من رجال لهم خبرة بالكتب واطلاع على ما تصدره ديار النشر بالشرق والغرب

(ج)ـ تكوين لجنة ممن يعطف على المكتبة التونسية مهمتها الدعاية لفائدة المكتبتين وفتح اكتتاب عام لمشروع المكتبة

(د) توسيع دايرة عملها وعدم الاقتصار على الكتب العربية حتى تكون جامعة لاهم ما تصدره المطابع في اشهر اللغات سيما ماله ارتباط بتاريخ الشمال الافريقي والتشريع الاسلامي والادب العربي واظن ان حضرات المحافظين لا يمانعون في ذلك فقد وجدنا لهم في ذلك وجها يمكن الاستناد اليه واعتباره كدليل للجواز وهو وجود عدة كتب باللغة التركية والفارسية وحتى الايطالية والفرنسية فرجاؤنا الا يرتاعوا لهذا الطلب والا يحولوا دون تنفيذه ان قدر له التنفيذ

(ه) توحيد المكتبتين ومنع اعارة المخطوطات على الاطلاق والمطبوعات النادرة مع تمكين الراغبين من مطالعتها تحت الرقابة اليقضة وذلك احتفاظا بالباقي من عبث المستعيرين الانانيين فهناك من يدعى منهم الضياع ويتقدم لدفع العوض

(و) السعي في ايجاد محل مناسب للمكتبة تضم فيه محتويات المكتبتين

وهناك امور اخرى تتطلبها المكتبة كاحداث متحف للخطوط وقسم للنسخ وآخر للتصوير الشمسي وتخصيص مكان للجرايد والمجلات والخرايط وغير ذلك

***

بقيت لنا كلمة عن مكتبتي الخلدونية وقدماء الصادقية نضعها هنا اتماما للبحث

اما المكتبة الاولى فعلى صغرها فانها تقوم بدور لا باس به في اداء المهمة الثقافية والاقبال عليها متزايد بفضل حزم رئيسها القائم عليها وعنايته بها

واما المكتبة الثانية فهي مع كل الاسف في اهمال لم نكن نتوقعه من القائمين عليها الذين عرفنا فيهم النشاط والغيرة على مؤسساتهم القومية ناهيك ان العناكب قد مدت انسجتها على خزاينها الموصدة منذ ثلاثة اعوام او تزيد والانكى من ذلك ان هناك شائعات تروج بين جماعة قدماء الصادقية حول محتوياتها النفيسة واستئثار بعض الشخصيات بنفائسها فرجاؤنا من هيئة القدماء ان تقف وقفتها الحازمة وتبعث مكتبتها من جديد وتحتفظ بذلك التراث الذي أوتمنت عليه

هذه نفثة قد املتها علينا الرغبة في حفظ كرامة مكتبتنا من ان تذال والحرص على الذماء الباقي نأمل ان يكون لها اثرها في تقويم حالة المكتبة التونسية والسير بها نحو الكمال على ايدي ابنائها المخلصين

محمد بن الشاذلي العنابي

العالم الاسلامي

المسلمون في فينلاندا

٣

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

الآداب الفينـلاندية

قد وعدنا بالتحدث عن الاداب الفيلاندية كملحق لهذا البحث . فاليك بعض البيانات عن تلك الآداب :

ان اللغة الفينلاندية احدى لغات العـائلة المعروفة « بالفينلاندية الاوغرية » وهي جملة لغـات مبعثرة شذر مذر من القطب الشمالي الى فينلاندا الى بلاد المجر عينها (هنغاريا) . وقد حاول بعض العلماء ان يضيفوا اليها اللغة التركية ولهجات التتار والمغول وحتى اللغـة اليابانية بنفسها . وقـد لا حظ علماء الالسن منذ عصور قديمة القرابة اللغوية الموجودة بين اللغات الآرية او المسماة في عرف اليـوم بالهندية الاروباوية وبين اللغات الفينلاندية الاوغرية . واللغة الفينلاندية عبارة عن لغة مـوسيقية جميلة يتكلم بها مليونان من السكان ولها لهجات ثانوية نحو الست او السبع .

واما الآداب الفينلاندية فانها نشأت بنشوء المذهب البروتستاني الذي نشره المصلح الالماني لوثر والفيلسوف الفرنساوي كالفين في القرن السادس عشر . فلما ظهر هذا المذهب المقاوم لنفوذ البابا اولا وبالذات خرج احد الفينلانديين المسمى « بطرس سير كيلاهتي » وقصد جامعة ويتمبيرغ فـاخذ المذهب الجديد عن لوثر نفسه واستمد تعاليمه من ينابيعه الاصلية . وبعد ان تحصـل على الشهـادات اللازمة رجع الى مسقط راسه فسمي راهبا قانونيا سنة ١٥٢٥ وتعين للرئاسة الدينية بكاتـدرائية توركو وقد قصر عمله على هذه المدينة لكنه كان عملا خصيبا مثمرا . لا سيما وانه كان يرمي الى احياء اللغة الوطنية ومقاومة النفوذ الاجنبي باسم الدين . فاخذت عنه نخبة قليلة اصول اللغـة الـوطنية وقواعدها وفي الآن نفسه اصول المذهب الجديد الذي هو في الحقيقة مقاوم لكاتوليكية البابا وللمذهب الارثوذوكـس اي مذهب الامة الروسية المستولية على فينلاندا يومئذ . وقد كان الملك غوستـاف

قليل الاهتمام بالنتائج الفكرية والدينية المتولدة عن اصلاح لوثر وحسبه ان يجد فيه ثمرة سياسية ومالية . فاقر الوعظ الديني بالانجيل المترجم ترجمة حديثة على يد لوثر . ثم لما سمي الراهب ميكائيل اغريقولا اقبل اقبالا جديا على احداث الاداب الوطنية واقامة دعائم الآداب الدينية على لغة الوطن . كان اصله ابنا لاحد المساكين الفقراء . فدرس بجامعة ويطمبيرغ وترأس مدرسة توركو الدينية . وقد كان عمله الاساسي الذي كرس عليه حياته هو احداث آداب دينية باللغة الوطنية . فنشر سنة ١٥٤٣ كتابا في اصول الدين على مذهب لوثر ونشر سنة ١٥٤٤ كتاب ادعية وكان اخذ في ترجمة التوراة منذ كان طالبا بجامعة ويطمبيرغ فظهر العهد الجديد سنة ١٥٤٨ بمدينة اسطوخولم . وطبع كتاب المعمودية سنة ١٥٤٩ وبدأت تظهر ترجمة العهد القديم سنة ١٥٥١ ثم نشر كتاب مزامير داود عليه السلام وسفر الانبياء . لكن اغريقولا مات سنة ١٥٥٤ بعد ان قام بعمل ماجد وهو احياء الآداب الوطنية التي لا توجد نهضة قومية بدونها ولا يتيسر انتشال البلاد الا بانتشالها . فلم يحك لنا التاريخ ان امة من الامم نهضت قبل نهوض ادابها القومية او بدونها وهكذا تكونت الاداب الفينلاندية الدينية وغير الدينية ويمكن اعتباره اباها كما يمكن اعتبار هذه النهضة الادبية الخطوة الاولى والرئيسية في نهضة الوطن الفينلاندي .

خرجت فينلاندا في القرن الثامن عشر من ربقة الروس ودخلت تحت سيادة السويديين . فبلغت الحضارة الجديدة التي هي مزيج من حضارتي الامتين الفينلاندية والسويدية اوج علاها يومئذ . فشعرت الامة الفينلاندية بذاتيتها وبمقدار نبوغها وبان لها الحق في تبوؤ مقعدها من الحضارة ومركزها من الشمس . ومع ان اللغة السويدية كانت اللغة الرسمية فان الفينلاندية كانت شرطا في تسمية الموظفين منذ سنة ١٧٣٩ ونقلت مجلة القوانين السويدية الى اللسان الفينلاندي في نحو ذلك التاريخ وقد ظهر يومئذ نبوغ الفينلانديين الفكري . فكانت الاداب مشتملة على ثلاث لغات . وهي اللاطينية والسويدية والفينلاندية . ولو ان هذه الاخيرة كانت صاحبة المقام الاسمى والظاهرة على اختيها لانها اللسان الوطني الذي يجب ان يتبرز على غيره من الالسنة . وكانت هذه الاداب مشتملة على جميع الفنون العقلية من ادب التخيل الى ادب التعمق العلمي الى الادب العلمي المستوعب للرياضيات والفلك والطبيعة والتاريخ الطبيعي والاقتصاد السياسي والطب والفلسفة والتاريخ وفلسفة الالسن . وما جاءت سنة ١٧٧١ حتى نشأت صحافة باللسان السويدي وفي سنة ١٧٧٦ ظهرت اوليات الصحف باللغة الفينلاندية . وكان مركز كل هذا النشاط الفكري جامعة توركو .

وكلما توغل العلماء في البحث عن التاريخ الفينلاندي كلما زادت الامة اعتصاما بتاريخها الوطني

وآدابها القومية وكلما زادت هذه الروح في الطبقات الشعبية انتشارا بحيث لم يات القرن التاسع عشر الا ومليونان من الفينلانديين يتكلمون بلغتهم الوطنية مقابل اربعمائة الف يتحدثون عادة بالسويدية. وكانت اللغة السويدية لسان الطبقة البورجوازية الحرة، وهي طبقة متوسط المتوظفين و « البلدية » من ارباب الصنائع والتجارات والمزارع . ومن جهة اخرى لم تكن اللغة الفينلاندية لسان اهل البادية وسكان الغابات فحسب بل كانت لسان رجال الكنيسة والارسطوقراطية المالكة للارضين الشاسعة. لانها كانت ترى فيها الوسيلة الوحيدة لحفظ التقاليد الاجتماعية والدينية . فنهضت ثلة من العلماء واقتفت اثر العلامة بورثان الذي احيى دراسة الاداب الوطنية في القرن الثامن عشر. وظهرت نشأة جديدة ضاعفت جهودها في هذه السبيل نخص بالذكر منها غوستاف رنفال الذي نشر معجم اللغة الفينلاندية سنة ١٨٢٦ وفي سنة ١٨٣١ تأسست « جمعية احياء الاداب الوطنية الفينلاندية » التي سرعان ما صارت مركزا كبيرا لهذا النوع من المباحث . وكان كاتب هذه الجمعية العام الاستاذ لوقوروت الذي ولد سنة ١٨٠٢ وكان ينوي اولا تعاطي الطب ثم عدل عن ذلك لتكريس حياته على احياء الاداب الوطنية وجمع الاشعار الشعبية فجمع ديوانا اودع فيه اغاني الشعب واشعاره ونشره تحت اسم « كاليفالا» وقد بين جبرائيل راين مقصد هذه الجمعية في الكلمات الاتية التي القاها يوم ١٦ مارس ١٨٤٢ :

« ان واجب كل فينلاندي ان يسعى قولا وفعلا وكتابة في سبيل تحقيق غاية هذه الجمعية وهي احياء ادبنا القومي وان يبذل كل ما في وسعه لنشر الثقافة الوطنية وتوسيع نطاقها والرقي بها من طور الى طور . ومن واجب كل فينلاندي ان يكرس جهوده لفائدة الشعب الذي خرج منه ولفائدة آداب بلاده . فاذا فعل كل واحد منا ذلك لا بد ان ياتي يوم طال الزمان ام قصر تصير فيه اللغة الفينلاندية من اكبر اللغات وتتبوأ مقعدها الشريف الى جانب لغات المدنية العالمية »

لم يكن هذا البرنامج الا مرحلة اولى تجاوزها بكثير الاستاذ يوحنا ولهلم سنيلمان (١٨٠٦ - ١٨٨١) الذي كان تلميذ الفيلسوف الالماني هيجل والفيلسوف فيخت . فكان يرى ان الامة كوحدة وعنوان سياسيين تجد في لغتها الوطنية وسيلة تعبيرها الطبيعية والطريقة الفطرية التي يمكن للامة التي قد توحد شعورها وتقاليدها ان تفصح بها عن مقاصدها ولا يمكن ان توجد وسيلة اخرى بين افراد تلك الامة للاعراب عما يجول بخواطرهم . وبناء عليه فان وجود لغتين راقيتين في ضمن امة واحدة هو شيء مخالف لاوضاع الطبيعة وفلتة من الفلتات . فاداه هذا التفكير الى الطعن في اللغة السويدية مع كونها هي اللغة التي كان يعبر بها عن هذه الافكار . وفي ذلك الوقت نفسه قام الادباء بمجهود جبار لتحقيق احياء آدابهم واخراجها من حيز القوة الى حيز الفعل فحاولت جمعية احياء

الحركة العلمية والادبية

في جامع الزيتونة

اضرب تلامذة جامع الزيتونة وفروعه بالحاضرة عن القراءة ابتداء من يوم الاربعاء ٢٠ حجة المنصرم و٣٠ مارس الجاري وسبب هذا الاضراب هو ان الطلبة قدموا مطالب للحكومة وقابلوا من اجلها رجال الحل والعقد ولما لم تقع اجابتهم عنها اعلنوا الاعتصاب وتنحصر مطالب التلامذة في خمسة امور اصلية :

(١) اصلاح مدارس السكنى بصورة تلايم قواعد الصحة والنظام حيث انها الآن خالية من جميع المرافق وطلبة الزيتونة عند ما يقايسون بين حالة مساكن طلبة المدارس الدولية وبين حالة مساكنهم يجدون البون شاسعا والفرق عظيما . فمن اجل ذلك الحوا في اصلاح حالة مدارسهم بايجاد منافذ للهواء وتزويدها بالكهرباء وماء زغوان واحداث بيوت للعلاج الوقتي فيها

(٢) بناء مدارس جديدة لايواء العدد الوافر من الطلبة الذين ضاقت عن ايوائهم المدارس القديمة

(٣) اصدار الاوامر العلية لحاملي شهادة التطويع او التحصيل طبق النظام الجاري من قديم الزمان

الآداب الفينلاندية ايجاد آداب عصرية . فنقلت عدة تآليف اجنبية الى اللسان الفينلاندي . لان احياء الآداب لا يكون اولا الا بالترجمة . اما ترى ان الآداب العربية ما نهضت الا بالتراجم الفارسية والهندية واليونانية وان آداب اوروبا ما نهضت الا عند ما اسس الفنش العاشر ملك اسبانيا جمعية لنقل الكتب العربية الى اللسان اللاطيني ؟ وفي نحو ذلك العصر اشتهر الاستاذ آلكويست استاذ الآداب الفنلاندية بجامعة هلسنكى بما نشره من الاشعار النفيسة باللسان الفينلاندي . وظهرت يومئذ عدة صحف باللغة الوطنية مثل صديق الفلاح وغيره . وبالرغم عن العراقيل المختلفة فان هذه الحركة المباركة ما زادت الا نموا وانتشارا . وقد تأسست حركة انصار اللغة الفينلاندية ازاء انصار اللغة السويدية فآلت سنة ١٨٨٢ الى تساوي اللغتين في المعاملة . اما اشهر الكتاب الفينلانديين فالشاعران آلكويست وكروهن والكاتب الروائي بايفارينستا المشهور برواياته البدوية وخصوصا الكاتب الكبير يوحنا آهـو صاحب الصيت العالمي . واما من ناحية التعليم العمومي فان العدد العظيم من المدارس جعل فينلاندا محرومة من امي واحد « يذهب عنها العين ويطير النفس » وقد اصبحت جامعة هلسنكي من اكبر الجامعات العلمية في العالم باسره »

عثمان الكعاك

في العدد المقبل المسلمون في بولونيا ورومانيا وبلغاريا

(٤) فتح ابواب الوظائف الدولية في وجه الزيتونيين ولا سيما التعليم بالمكاتب الدولية

(٥) اعفاء المحرزين على شهادة الاهلية من الخدمة العسكرية قياسا على الشهادة الابتدائية الفرنسية

وقد علمنا من المكتوب الذي خاطبت به الحكومة مشيخة الجامع ونشرته المشيخة بالصحف اليومية ان المطالب الثلاثة الاول نفذ منها الثالث وشرع في تنفيذ الاولين واما المطلبان الاخيران اللذان هما بيت القصيد فلا يزالان محل نظر وتفاهم بين دواوين الحكومة ونحن نرجو من الله تعلى ان ينظر الى كليتنا بعين اللطف وان يحقق مطالبنا وآمالنا . ونرغب من الحكومة التي تعودنا منها رعاية جانب الجامع وبنيه ان تعمل لتحقيق مطالب الزيتونيين وانجاز رغباتهم حتى تهدأ الافكار ويستقر الاطمئنان في النفوس . ونغتنم هذا الفرصة لتكذيب ما اشارت اليه بعض النشريات من اتهام المجلة الزيتونية بوقوفها موقفا غير لائق . ونتسلى عن هذا الاتهام بما نعتقده من ان ناشره ومروجه يعلم انه قد افترى على المجلة كذبا . وانه قد استغل حسن نية بعض الناس فيه فدس عليهم ما لو تدبروه لردوا كيده في نحره . ولما مكنوه من التستر بهم لاشفاء غلته . ولولا مراعاة حسن نية الجماعة لما اقدمت المجلة على هذا التكذيب

جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه

اشرنا في عدد مضى الى ما ظهر في جامع الزيتونة من الحركات العلمية والمشاريع المفيدة، وتكلمنا على (جمعية الزيتونيين) ونريد الآن اتمام الحديث عن بقية ما ظهر من الحركات التي تفجرت من ذلك الينبوع العظيم الذي هو مصدر كل خير وبركة بهذه البلاد من ذلك جمعية ضعفاء التلامذة .

فهذه الجمعية هي اهم مشروع زيتوني ظهر في هذه البلاد . نظرا لشرف موضوعها ولما له من الاهمية . وهو (مد يد الاعانة للضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه من حيث المأكل والملبس والسكنى والحالة الصحية ومن كل ما يمكن ان يطرأ مما يحتاج للاعانة وتجد الجمعية استعدادا للقيام به)

وقد شرعت الجمعية في تحقيق ما اسست من اجله ابتداء من غرة شهر جانفي المنصرم الموافق ليوم الجمعة ١٨ شوال المنصرم . حيث نظم في ذلك اليوم إطعام ما يزيد على المائة تلميذ بمطعم وقع اختياره لذلك . ووقع الاتفاق مع صاحبه على شروط مراعى فيها المصلحة التامة للتلامذة، من الناحيتين المادية والادبية ثم زادت في عدد التلامذة الذين تمنح لهم الاعانة على الوجه المذكور خمسة وسبعين تلميذا ابتداء من غرة فيفري المنصرم الموافق ليوم الاثنين ١٩ قعدة فصار عدد التلامذة المحرزين على المنحة المذكورة مائة وخمسة وسبعين . والمؤمل ان يتسع نطاق العمل في وقت قريب حتى تتمكن الجمعية من ترضية جميع المحتاجين من تلامذة الجامع .

ونريد بهاته المناسبة ان نذكر لمحة تاريخية عن هذه الجمعيــة وتاسيسها وما مر بها من الاطـوار باختصار حتى نصل بها الى حالتها الحاضرة :

في عام ١٣٥٠ فكر حضرة العالم الفاضل الشيخ سيدي محمد العزيز النيفر نائب الدولة لدى النظارة العلمية في ذلك العهد وكاهية شيخ الجامع الآن . في تاسيس جمعية لاعانة فقراء التلامذة وعرض ذلك على النظارة العلمية فوجد منها اذنا صاغية وتاييدا لما عرضه . ولا سيما من جناب رئيسها العلامة الجليل الشيخ سيدي احمد بيرم شيخ الاسلام السابق رحمه الله . وإثــر ذلك اذنت النظـارة كاتبها بتحرير مكتوب على لسان المدرسين في طلب تأسيس هاته الجمعية . فحرر بتاريخ ذي الحجة ١٣٥٠ الموافق لافريل ١٩٣٢ وامضى عليه غالب المشايخ بالجامع . وكان مكتوبا بليغا مؤثرا ننقل منه الفقرات الآتية : (وبعد فلا يخفى على الجناب ما يقاسيه كثيرون من تلامذة الجامع ابناء الجميع من عسر الحال وشدة الاحتياج . . . . ومن اجل هاته الحالة الاسيفة رأى المصححون أسفل هذا ان يتقدموا لجنابكم باقتراح نؤمل ان يخفف عنهم من الوقر الذي احنى ظهورهم ويريحهم ولو شيئا ما من عناء غربتهم وان كانوا بين اهلهم وذويهم

وقرابة الادبــاء يقصر دونهـا   عند اللبيب قرابـة الارحـام

نظرا لهاته الحالة المزعجة فقد رأى كل منا ان يلتزم بدفع ما لا يقل عن خمسة فرنكات شهريا ويصرف ما يتجمع من ذلك في سبيل اعانة التلامذة الخ . .) . ثم ورد من الوزارة الكبرى مكتوب مؤرخ في حجة ١٣٥١ وفي افريل ١٩٣٣ مخاطب به شيخ الجامع (بعد ان ابطلت النظـارة العلميــة) تضمن الاذن للمشائخ المدرسين بوضع قانون اساسي للجمعية . وفي يوم الاحد ٢١ و١٦ من الشهرين المذكورين اجتمع المشائخ المدرسون بمسجد الجمعية الخلدونية لانتخاب هيئة تضع القانون الاساسي . فانتخب لذلك اربعة مشائخ وهم المرحوم الشيخ عثمان بن الخوجه . والمشايخ السادة : محمد العزيز النيفر والبشير النيفر ومحمد المختار بن محمود . وبعد ما فرغت هذه اللجنة من وضع القانون الاساسي انعقدت جلسة عامة بالمكتبة العبدلية في يوم الاثنين ١ شعبان ١٣٥٢ و ٢٠ نوفمبر ١٩٣٣ عرض فيها القانون وبعد عرضه وقع انتخاب الشيخ محمد العزيز النيفر رئيسا للجمعية ثم وقع انتخاب اعضاء الجمعية . وبعد ايام اجتمع الاعضاء وكونوا مجلس الجمعية على الصورة الاتية : المشايخ السادة : محمد العزيز النيفر (رئيس) محمد البشير النيفر (كاهيته) محمد الهادي بن القاضي (أمين مــال) الحاج علي ابن الخوجه (كاهيته) محمد المختار بن محمود (كاتب) علي النيفر (كاهيته) ابراهيم النيفر . محمد الزغواني . الناصر الصدام . الحطاب بوشناق . العربي الماجري . الشاذلي بن القاضي (اعضاء)

فتقدم المجلس المذكور للدولة بالقانون الاساسي ، وبعد مفاهمات ومحاورات صادقت الدولة عليه بمقتضى قرار صادر من جناب المولى الوزير الاكبر بتاريخ ٢٨ محرم ١٣٥٤ و ٢ ماي ١٩٣٥ ثم حدثت امور منعت هذه الجمعية من الظهور الى امد اراده ثم ظهرت عناية الله بها .. فزالت تلك الموانع وتهيأت الاسباب فظهر الحق وبطل عمل المفسدين والله ولي المصلحين

وقد تشرف وفد من مجلس الجمعية متركب من المشايخ السادة محمد العزيز النيفر محمد البشير النيفر محمد الهادي ابن القاضي محمد المختار بن محمود بمقابلة صاحب الجلالة ملكنا المعظم ابقاه الله في يوم الخميس ٣٠ جمادى الثانية و ١٧ نوفمبر سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٦ بقصره الصيفي بشاطىء المرسى فاقتبلهم في مجلسه الفخيم بحضور وزرائه ورجال دولته . واظهر لهم من العناية والتأييد ما عهد منه في مثل هذه الاعمال الصالحة . والقى بين يديه رئيس الجمعية خطابا بين فيه الغرض من الجمعية وبرنامج اعمالها وطلب منه مد يد الاعانة اليها وجعلها تحت اشرافه فتأثر ابقاه الله من ذلك وقال لرجال الوفد مشافهة ما نصه : (بارك الله فيكم وربنا يعينكم) . فودعه الوفد وخرج مبتهجا من هذا الاقتبال العظيم والتاييد السامي . ومن ذلك الوقت اخذ المجلس يعد المعدات اللازمة لتنفيذ ما وضعت الجمعية لاجله . فطلب من عموم الامة مد يد الاعانة للجمعية . كما طلب ذلك من الحكومة فاجيبت دعوته وانهالت عليه العطايا من الامة حتى تمكن من الشروع في تنفيذ اعماله ابتداء من غرة جانفي المنصرم كما اشرنا اليه سابقا جزى الله المحسنين خير جزاء . واعان مجلس الجمعية على القيام باعباء ما كلف به احسن قيام . و لله ولي الاعانة والتوفيق .

محمد عثمان باشا داي الجزائر

اسم كتاب الفه الكاتب المؤرخ السيد احمد توفيق المدني تكلم فيه عن تاريخ الجزائر في العصر التركي وتراجم علماء ذلك العصر رتبه على مقدمة كتمهيد لدراسة التاريخ التركي في الجزائر وخمسة اقسام تضمن القسم الاول خلاصة وافية عن تاريخ الحكم التركي في الجزائر واشتمل القسم الثاني على بيان الحالة العلمية في ذلك العهد واشتمل القسم الثالث على سيرة (محمد عثمان باشا) واشتمل القسم الرابع على تعريب قسم من دفتر التشريفات والقسم الخامس على مقتطفات عن مذاكرات احد كبار المستشرقين ممن عاش في الجزائر ايام الباشا . وقد جعل بدل الاشتراك فيه ١٥ فرنكا فعلى الراغبين فيه ان يقدموا بدل اشتراكهم ليصل لهم الكتاب يوم انجاز طبعه . وعنوان المكاتبة السيد احمد توفيق المدني - زنقة باربريجير عدد ١ - الجزائر .

بريـد المجلة

ترد على المجلة رسائل كثيرة يطلب مرسلوها نشرها ولكن نطاق المجلة يضيق عن نشرها جميعا لذلك سنقتصر على نشر الرسائل التي تشتمل على اغراض اجتماعية او انتقادية لانها بذلك تتجاوز منطقة ادارة المجلة وتصير حقا مشاعا لعموم قرائها ومن الواجب اطلاعهم عليها لذلك سننشر تحت هذا العنوان الرسائل التي ترد الينا من هذا القبيل معتذرين لمرسليها الافاضل بان ما يقع من التاخير في نشرها سببه ضيق نطاق المجلة ، وتراكم المواد عليها :

رسالة الجزائر

وردت الينا من الجزائر رسالة من صديقنا العالم الفاضل الاديب الشيخ مبارك الميلي عضو جمعية العلماء بالجزائر في التنويه بشان الرابطة الكبرى التي يقوم بها جامع الزيتونة عمره الله بين القطرين الشقيقين الجزائر وتونس وبالمهمة التي ستقوم بها المجلة الزيتونية في هذا الشان . مع ابداء ملاحظات املاها عليه اخلاصه لهذه المجلة ولهيئتها ، بارك الله فيه واليك الرسالة بنصها :

المجلة الزيـتونيـة

جامع الزيتونة أقدم الكليات الاسلامية الثلاث . ومنه انبعث الضوء نحو المغرب ، فتأسس بفاس جامع القرويين ، ثم انفصل منه نور نحو المشرق ازدهر بالقاهرة ، فكان الجامع الازهر . فلجامع الزيتونة الفضل العام على العالم الاسلامي في حياته الفكرية ، ثم له علينا الفضل بصفة خاصـة ، فبه انتفعنا فيما كتب لنا من علوم الدين ووسائلها . لذلك تجدنا نهوى جامع الزيتونة ونعرف له منزلته . فيسوءنا ويضعنا كل ما ينتابه من خلل ، ويسرنا ويشرفنا كل ما يدركه من شرف ، وان هوانا له لهوى عاقل ، وان معرفتنا لمنزلته لمعرفة سالمة من التعصب ، فلا هوانا يمنعنا ان ندرك ما به من ضعف ، ولا هو يحملنا على اكبار ما يتصل به فنكون من المغرورين ، نكتب هذا وبين ايـدينا اثر من آثار ذلك الجامع المعموز هو « المجلة الزيتونية » الممتعة يحمل عرشها اربعة من شيوخه المدرسين وفتيانه الاقوياء ، فقد حمل الي البريد الجزء الثالث من هذه المجلة . ولا ادري اضاع به العددان قبله ايام اقامتي بمدينة الجزائر فقد ضاعت علي يومئذ اجزاء من مجلات اخر(١) ولا أنتقل قبل ان أبدي شكري لرجال ادارة المجلة واعجابي بهمتهم لنهوضهم بهذا العمل الجميل الجليل ولحفظهم لذلك العهد عهد اجتماعنا في الطلب وان تطـاولت عليه حقب ، ثم لنعد الى مجلتنا فلننظرها بعين ذلك الهـوى العاقل في غير تعصب او احتقار ، فانا نجدها روضة باسقة الاغصان وارفة الظلال متنوعة الاشجار ناضجة الثمار واذا كان فيها نقص فبالقياس الى مجد ذلك الجامع التالد اذ هي لسانه المعرب عن مبلغ حياته الفكريـة وبيانه العربي ، وعلى تلك الحياة وذلك البيان يقوم مجد جامعنا الطريف وكل مـا يخشى الهائم بحب جامع الزيتونة ان يقصر طريفه عن تالده بل ان لا يفوق حاضره ماضيه حتى لا يخرج عن سنة النشوء والارتقاء

(١) نعم ارسلا اليكم

ان الذي سرني جدا وملأني ثقة بحسن مستقبل مجلتنا وتحسين سمعة جامعنا هو اشتباك امضاآت فتية ناشطين بامضاآت شيب متبصرين ، وان تعاون فتوة الفتيان وحنكة الشيوخ على الاخذ بيد هذه المجلة لمما يبشر بثبوت قدمها في سلم الكمال ويضمن لها السير في طريق الاستقامة والاعتدال ويربي النشء على احترام الكبار ، ويدعو الكبار الى مشاركة الشبان ، وفي امتزاج هاتين الطبقتين قضاء على الجمود وسلامة من التطرف .

وليسمح لي رجال ادارة مجلتنا بابداء ملاحظة مجملة هي من باب النظر الى مجلتنا بعين ذلك الهوى العاقل ، فأقول :

ان القواعد العلمية الاصطلاحية ينبغي ان يستعان بها على الفهم ولا تستعمل في التفهيم بهذه الصحف السيارة التي يخاطب بها كل الطبقات ويقصد فيها الى تقريب المعاني من أذهان لم ترتض بالدرس ودقائق عبد الحكيم والخيالي وتمكين العظات من القلوب القاسيات ، وادخال القواعد الاصطلاحية في مخاطبة كل الطبقات قد يكون عائقا للكتاب من اجتناء ثمرات أقلامهم وعقبة تصد القراء عن الانتفاع بنصح النصحاء ، وقد جاء الكتاب المبين هداية عامة ، فكان خاليا من الاوضاع الخاصة والاصطلاحات العلمية ، وعلى قدر الاعتراف من بيان الكتاب العزيز يحصل الارتواء للقراء والتأثير من الكتاب ، وتلك غاية العاملين المخلصين .

وكتب بميلة خامس رمضان ١٣٥٥
مبارك بن محمد الميلي

(المجلة الزيتونية) تشكر حضرة الصديق الفاضل على ما ابداه في هذه الرسالة اللطيفة من التنوية بالكلية الزيتونية التي هي اقدم الكليات العلمية الاسلامية ، ثم على تنويهه بهذه المجلة وافراد هيئتها الذين اسسوها متحلية باسم الكلية التي تصدر عنها ، معتمدين على الله ان يوفقهم الى ان يسيروا بها في طريق التقدم والارتقاء حتى يصلوا بها الى ارقى درجات الكمال . ثم تلفت نظر حضرة كاتبها الفاضل الى ان ملاحظته التي تتعلق باسلوب المجلة والتي نشكره على ابدائها كما نشكر كل كاتب يتقدم الينا بما يراه من الملاحظات كنا قد اجبنا عنها في صدر العدد الثاني جوابا كافيا نقتصر الآن على اعادة ذكر محل الحاجة منه : فقد قلنا ما نصه : واننا نغتنم هذه الفرصة لابداء ملاحظة تتعلق بتحديد مبدأ المجلة الذي ستسير عليه بحول الله ليكون في ذلك جواب عن بعض ملاحظات يدفع الى ابدائها حسن نية اصحابها مع غفلتهم عن المبدأ : ان (المجلة الزيتونية) انما اسست لخدمة العلم والدين وليست خاصة بطبقة معينة من الناس تسايرهم وتماشيهم وتعرض عن سواهم . اذن فهي تنشر المباحث العلمية الدقيقة التي قد لا تهم الا طبقات معينة من الناس ، وتنشر المباحث الدينية والاجتماعية التي تهم عموم الناس فتحصل بها للعالم الذكرى ، ويتعلم بها غيره ما لم يحط به خيرا ، ومن طبيعة هذا الازدواج ان تنشر فيها مقالات تكون محررة على ما تقتضيه المباحث العلمية من دقة في التحرير ، وسمو في التعبير ، ولا يكون في ذلك غضاضة في نظر الناقد البصير . هذا ما قلناه سابقا وفيه الكفاية في الجواب عما ابداه الاخ الفاضل

اصلاح خطأ

وقع في مقال شرف الكعبة من الجزء السادس من السنة الاولى من المجلة الزيتونية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٧٠	١	والتذييل والمقدمة	والتذييل والتعقيب والمقدمة
«	٥	فعله	فصله
«	٢٠	العتيق عندهم في	العتيق في
٢٧١	٥	الحبش	الحبشة
٢٧٢	١٣	ينادي	ينادى
«	٢١	رافع	واضع
٢٧٣	١٣	تاسيس معابد	تاسيس إصل معابد
٢٧٥	١	اقدام	اثر اقدام
«	١٢	منذ	فقد
«	٢٤	ثقيل	نفيل
٢٧٦	٢٢	ءآمنوا	أمنوا
«	٢٥	الآيات	الآية

اعتذار

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر تقريظ المجلات والجرائد والكتب التي وردت لادارة المجلة وعن نشر سير المسامرات العلمية والادبية في الشهر المنصرم وموعدنا بذلك العدد المقبل ان شاء الله

تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢
مكتبة الاستقامة سوق العطارين
المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣
مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢
المكتبة الزيتونية سوق السرايرية
مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢
المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية
مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤
دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢
البشير وبلقاسم بن عمارة سوق السرايرية رقم ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي
» احمد المرابط متعهد بيع المجلات ببنزرت
» محمد حويشي القلعة الكبرى
» علي المزي بماطر
» صالح ابن الشيخ بقليبيه
» عبد القادر قربوج بنابل
» حمودة الذكواني بمنزل جميل
السيد حمدان الشريف بسوسه
» محمد الصالح البكوش بباجه
» محمد العربي بالمكنين
» محمد زهرة بالمنستير
» ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال
» الصادق بوزيان بالقيروان
» سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة
» علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس
» قدري قعيب بقفصه
» المكتبة الاسلامية بتوزر
» عمر اسكندر بنفطة
» شرف الدين الدقاشي بدقاش
» محمد بن علي امنجه بقابس
» حمزة شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير
» محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر
مكتبة النجاح بقسنطينة
» قبدوز بنهج جنجراس بسطيف
» الاخضر بن مبارك ببسكرة
» بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة
» محمد الهادي جلال بتبسه
مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٢٤ بتلمسان